وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الازمة المالية في تونس ودورها في فرض الحماية 1881م

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبتين:

- فاطمة جعيدير
- زهية جعيدير

إشراف الأستاذة:

- نصيرة نواصر

الاسم و اللقب	رتبة	جامعة	الصفة
طاس ابراهيم	محاضر ب	جامعة غرداية	رئيسا
نواصر نصيرة	مساعد أ	جامعة غرداية	مشرفا
تريعة موسى	محاضر ب	جامعة غرداية	مناقشا

1440-1441هـ/2019-2020م

قال الله تعالى :

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾

سورة الضحى الآية 5

شكر وعرفان

ان الشكر كله لله عز وجل على توفيقه لنا في انجاز هذا العمل .

وفي الاول اود ان اتقدم بالشكر الجزيل الى استاذتي المحترمة نواصر نصيرة ، والتي صبرت علينا كل الصبر خلال انجاز هذا العمل والتي لم تبخل علينا في تقديم النصائح والارشادات اللازمة لبحثنا هذا ، ونرجو من الله عز وجل ان يجازيها عنا خير جزاء .وكذلك اشكر عميد الكلية السيد : صالح بوسليم على كل ماقدمه لنا من دعم .

والى كل اساتذة والعمال بجامعة غرداية .

ولاننسا كل المكتبات التي فتحت لنا ابوابها لمساعدتنا في عملنا :

* اولها مكتبة الجامعة وكل العمال بها.

*مكتبة الموجودة بالقرارة بمعهد الحياة والتي فتحت لنا ابوابها واحسنت استقبالنا رغم الظروف الوبائية الصعبة التي يعرفها العالم .

* متحف المجاهد بمتليلي.

*المكتبات الموجودة بمتليلي .

-مكتبة الدهمة .

- والمكتب الولائية بمتليلي .

-* المكتبات الموجودة بغرداية وخاصة بني يزقن :

- مكتبة الاستقامة.

-مكتبة مفدي زكريا واخص بالذكر حفيدة مفدي زكريا التي لم تدخر وقتا في مساعدتنا .

الاهداء

نهدي ثمرة جهدنا الى ابينا رحمه الله : عمر

الي سندنا امنا الحبيبة : حدة جعيدير

والى رفقاء الدرب : اخوتنا واخواتنا الاعزاء : وبالأخص اهدي جهدي وثمرة عملي الى اخي العزيز أحمد.

عامر مسعود ابراهيم والزهرة ومريم .واولادهم .

وبالأخص الكتكوتة الحبيبة مروة بن عطاالله

والى اخوتي التي لم تلدهم امي اصدقائي في الاقامة الجامعية .

اهدي هذا العمل الى كافة طلاب العلم وخاصة قسم التاريخ جامعة غرداية دفعة 2019-2020م .

قـــائـــمـة
الـــمـختـصرا ت

المختصرات:

بالعربية:

المختصر	الكلمة
د.ط	دون طبعة
د.ت	دون تاريخ
ب.د.ن	بدون دار النشر
مج	مجلد
تح	تحقيق
ص	صفحة
د.س	دون سنة
ج	الجزء
ع	العدد
تع	تعريب
ص ص	صفحات عديدة متلاحقة

1-بالأجنبية:

ED	Editions
P	Page
Pa	Page contenues

مقدمة

كانت تونس ومنذ القدم محطة انضار لمختلف الدول ، بسبب ثرواتها وموقعها الجغرافي المهم في القارة الافريقية والذي يربطها مع العالم الاوربية نظرا للقرب في المسافة بنهما ، مما جعل البلاد ذات ثروات متنوعة ومختلفة ، ونتيجة لذلك اصبحت البلاد تعاني من مضايقات على السواحل ، فاضطرت البلاد الى الدخول تحت لواء الدولة العثمانية لحماية البلاد من التهديدات الخارجية ، وخاصة بعد تعاون الحسن الحفصي مع الاسبان، وهذا ما شكل خطرا على النفوذ العثماني في الحوض الابيض المتوسط .

وبعد وصول الاسرة الحسينية الى حكم ، تسارع الحكام وخاصة في القرن التاسع عشر لربط علاقات ودية واقتصادية مع الدول الاوربية ، وهذا ما كانت تطمح له تلك الدول الاستغلال ثرواتها تونس ولتصريف سلعهم المكدسة وفائض الانتاج على حساب الانتاج المحلي، وقد قام الحكام بصرف اموال باهظة على العسكرية ومشاريع دون فائدة منها بل بالعكس تقوم على استنزاف الخزينة، من اجل تلك الاصلاحات استفادت الدول الاجنبية من الامتيازات الممنوحة لها واستغلال الظرف الذي تمر به البلاد وخاصة مع وجود اشخاص ضعاف النفوس في حاشية الملك يبيعون البلاد بأرخص الاثمان مقابل الحصول على ارباح لصالحهم ، وفي خضم كل هذه الاحداث المتقلبة والتي عصفت بالخزينة اولا بأمن البلاد واستقلالها ، ومن خلال هذا الطرح سنحاول الاجابة على الاسئلة المطروحة . ونسال الله التوفق والسداد.

دواعي اختيار الموضوع :

اختلفت الاسباب التي جعلتنا نختار هذا الموضوع فمنها من كان ذاتي ومنها من كان موضوعي .

*** اولا الاسباب الذاتية :**

-التشجيع والمساندة الكبيرة من طرف الاستاذة المشرفة على هذا الموضوع .

تجب الاتجاه المعتاد لطلبتنا بالجامعة في دراسة تاريخ الجزائر .

– رغبتنا في دراسة تاريخ تونس وخاصة الازمة المالية ، وهذا ما يجعلنا نفتح نافذة على الماضي واسقاط احداثه على الحاضر لتكهن وتجنب اخطاره في المستقبل ، بحيث تتكون في اذهاننا صورة او مشهد لتسلسل الاحداث التي اوصلت الدول العربية الى التدهور والسقوط في ايادي المستعمر .

–ارضاء غايتنا العلمية وتطوير ملكاتنا البحثية .

اسباب موضوعية :

– محاولة منا لإثراء هذا الجانب العلمي من تاريخ تونس بالمزيد من التوضيح والاضافة ليصبح الموضوع في متناول الجميع بأسلوب سلس ومفهوم .

– السعي منا لوضع دراسة توضح كيفية سقوط تونس في الازمة المالية الى غاية وقوعها في الحماية الفرنسية .

– كذلك لمعرفة اهم الثغرات التي اوقعت تونس في الازمة المالية .

– وكيف انها ضلت تتخبط فيها رغم كل المحاولة الاصلاحية التي عرفتها البلاد .

– محاولة دراسة الوضع السياسي والاقتصادي للبلاد ومدى انعكاساته على الوضع العام بالبلاد .

– وكذلك لتوضيح فكرة التسلل التدريجي الفرنسي وكيف تمكنت من الوصول الى غايتا .

– وكذلك ليتوضح للقارئ لماذا تدخلت فرنسا في تونس بالحماية بدلا عن الاستعمار المباشر .

* الاطار الزماني والمكاني لدراسة :

الاطار الزماني :

– فقد كانت دراستنا للموضع من سنة1837م

الى غاية 1883م

-اما بالنسبة للمعلم الاول :1837م هو تولي احمد باي لحكم بحيث ترجع بذور الازمة المالية في بدايتها الى عهده .

- اما المعلم الثاني : 1883م وهو توقيع معاهدة المرسى من طرف علي باي وتقر بانتهاء عهد الاستقلال بتونس.

***الاطار المكاني :**

فنتحدث في هذا العمل على بلاد تونس التي تدور فيها الاحداث ووقائع الازمة .

اشكالية الدراسة :

- التساؤل الرئيسي: كيف تم وقوع تونس في الازمة المالية وماهي اهم الاحداث التي انجرت عنها ؟ .

الاسئلة الفرعية :

- ماهي اوضاع تونس قبل الازمة المالية ؟

- وماهي الاسباب والاحداث المؤدية للازمة ؟

- وماهي كيفية معالجة الخلل الاقتصادي والمالي للخروج من الازمة الى غاية تدهور حال البلاد ودخولها تحت الحماية الفرنسية ؟

المنهج المتبع في الدراسة :

وفي هاته الدراسة استعملنا مجموعة من المناهج للوصول الى الهدف من الدراسة بشكل صحيح وبأسلوب علمي مدروس ومضبوط .

-المنهج التاريخي الوصفي : وذلك لتتبع الاحداث وعرضها لنتمكن من تصورها ليسهل علينا وعلى القارئ فهم الاحداث لتصبح لدينا صورة بكامل جوانبها .

-المنهج التاريخي السردي : وقد قمنا باستعماله لكي نسرد الاحداث بشكل متسلسل وواضح .

- المنهج التحليلي : وذلك لتحليل الافكار التي بحثنا عنها لنستفردها من محتوها ، وذلك لنتمكن من التفصيل والتدقيق والتحليل في المعلومات المتحصل عليها ودراستها بشكل صحيح مع مراعات كل جوانبها دون اغفال جزء منها وللحصول على معلومات ذات قيمة تاريخية .

*** الدراسات السابقة :**

ومن اهم الدراسات التي تقاربت مع موضوعنا ولو بشكل نسبي او في جانب من الجوائب.

-ليلى بلحاج ، عبير حابي : الازمة المالية بتونس وانعكاساتها على الوضع السياسي بتونس 1859-1883م ، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة .2015-2016م .

- رابحة محمد خيضر ، لمى عبد العزيز مصطفى: التجربة الاصلاحية في تونس في عهد محمد الصادق باي 1859-1881م .

-امال سويسي : العلاقات التونسية الفرنسية 1830-1881م .2018-2019م جامعة غرداية .

-سهام شابي :الفكر الاصلاحي لخير الدين التونسي 1810-1889م من خلال كتابه اقوام المسالك في معرفة احوال الممالك ، جامعة الواد ، 2013-2014م .

الخطة المعتمدة في الدراسة :

وللإجابة على التساؤلات قسمت خطت البحث على النحو التالي :

فكان بها :مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ثم ملاحق ثم فهرس المحتويات.

الفصل الاول :الاوضاع العامة في تونس قبل الازمة وقسمته الى ثلاث مباحث .

المبحث الاول : وعنونته بالأوضاع السياسية . وتحدثنا فيه من بداية دخول تونس تحت الحكم العثماني وفيه ايضا على اهم الأحداث التي عرفها البيت الحسيني من جانب العلاقات مع الدول المختلفة .

المبحث الثاني :الاوضاع الاقتصادية .تطرقنا فيه عن اهم المنتوجات وحالة الاقتصاد واهم المنتوجات وعملية التصدير والاستيراد المؤثرات التي عصفت به .

المبحث الثالث : فتناولت فيه الاوضاع الاجتماعية . فكانت تونس تعرف تنوع من ناحية السكان وذلك الاسباب عديدة ضاربة في التاريخ ، مما جعلها تحوي ثقافات وهذا ما اثر على الحياة بصفة عامة ، وتحدثنا كذلك في هذا المبحث عن التعليم والذي كان يعرف بالتقليدي فهو يعتمد على علوم الدين فقط.

الفصل الثاني : اسباب الازمة في تونس .

المبحث الاول :الازمة في عهد احمد باي . تطرقنا في هذا المبحث على اهم الاعمال التي قام بها احمد باي والتي كانت بذرة من بذور الازمة بتونس فقد عرف عهده بالتطلعات الكبيرة نحو الدول الاجنبية والاوربية بخاصة ، وهذا ما اثر على فكره الاصلاحي فحاول التغيير في الجيش والإدارة والتعليم ولم تكن هاته الاصلاحات ترتبط بإرادة الشعب، واحدث العديد من الضرائب ومنع بيع الرقيق .

المبحث الثاني :الازمة في عهد محمد باي .واهم الاحداث التي عرفها به عهدة هو اصدار دستور عهد الامان وهو بمثابه خطوة تاريخية في العالم الاسلامي بحيث يعتبر الاول من نوعه بحيث انه كان قريب الى التشريع الاوربي ، كان به العديد من الامتيازات التي تخدم تلك الدول الاجنبية .

اما الحدث الثاني فهو التخفيف من الجباية ، والتخفيف من عدد الجنود ، والاهم من ذلك هو ضرب سكة النحاس ، وايصال الماء من زغوان .

المبحث الثالث : تدهور الحالة المالية للبلاد وتشكل الجنة المالية .فكان للإصلاحات الكبيرة التي قام بها احمد باي ومحمد باي الكثير من الاثار واهمها حصول الدول الاوربية العديد من الامتيازات والتي

استنزفت خزينة الدولة فوقعت البلاد في ازمة مالية وكثرة الديون مما اضطرت الدول الدائنة لعقد لجنة مالية تمكنها من إيجاد حل هذا المشكل .

الفصل الثالث : اصلاحات محمد الصادق باي وخير الدين التونسي وانعكاساتها .

المبحث الاول .اصلاحات محمد الصادق باي وخير الدين التونسي . فكان اهم اصلاح قام به محمد الصادق باي هو انشاء دستور عهد 1861 بحيث جاءت فيه العديد من البنود المؤسسة لدولة على طريق النمو فكان به المجالس واهمها المجلس الا على وبه ستون عضو ، واقر استقلالية القضاء كما شمل هذا الدستور العديد من الاصلاحات المهمة

اما بالنسبة الى شخصية خير الدين التونسي فكان يسعى وبشكل كبير للبحث عن المنافذ لا خراج البلاد من لازمة والسير بها نحو للإصلاح لكنه لم يتمكن من النجاح في اغلب مشاريعه بسب سياسة الباي والمقربين له ليتمكنوا من سرقة اموال الدولة والشعب دون أي مضايقات من أي طرف من الاطراف .

المبحث الثاني .ثورة علي بن غداهم . بحث تحدثنا فيه عن اسباب هذه الثورة من الضرائب والتي تضاعفت بسبب تراكم الديون عن الدولة ولم تجد سوى هذا المخرج وهو مضاعفة الضرائب ولكن الشعب لم يتقبلها لا نها بغير حق اضافة الى المظالم الاخرى، فتولد عنها ردت فعل شعبية و المتمثلة في الثورة والانتفاضة التي كانت بقيادة علي بن غداهم .

المبحث الثالث .دخول تونس تحت الحماية الفرنسية .وبسبب تردي الاوضاع في البلاد في جميع المجالات اصبحت الدول الاستعمارية ترى فيها صيد سهل وبالفعل هذا ما تم في مؤتمر برلين بحيث تم تقسيم تاركة الرجل المريض أي الدولة العثمانية وتمكنت فرنسا من اخذ الموافقة الدولة ثم راحت تبحث عن المسوغات للاحتلال الى ان اتتها الفرصة في مشكل القبائل التونسية بالحدود الجزائرية ومن ثم همت في الدخول الى تونس الى غاية توقيع المعاهدة وفرض الحماية .

الصعوبات المعترضة :

-لا يخلوا أي بحث من الصعوبات والعقبات .

– واهمها وباء كرورنا كوفيد 19 الذي اجتاح الجزائر كبقية سائر بلدان العالم وخاصة من الجانب خوفا على انفسنا وعلى غيرنا .

اما من الجانب العملي فقدتم الغاء معظم مواعيدنا مع المكتبات بالولاية بسبب ظروف الحجر الصحي .

– قلة الكتب المتخصصة في تاريخ تونس المعاصر بالمكتبة الجامعية .

التعريف بأهم مصادر ومراجع الدراسة :

***المصادر** .

ومن اهم المصادر والمراجع التي ساعدتنا الانجاز هذا العمل .

– أحمد إبن أبي الضياف . إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999م ج،3ج،4ج،7ج،8.

اولا ساعدنا في كونه مصدر للأحداث التي دونها فاغلبها كان عايشها او قريب منها فالتمسنا منه نوع من المصداقية في مؤلفه بأجزائه المتعددة فتمكنا بفضل مؤلفه من الوصول الى العديد من المعلومات حول هاته الفترة المدروسة فالقارئ الذي يدرس هذا العمل سيلاحظ اننا اعتمدنا وبشكل كبير وفي كل فصول البحث على هذا المؤلف.

– محمد بن خوجة ، صفحات من تاريخ تونس، تح: حمادي الساحلي، الجيلالي بن الحاج يحي، ط ،1دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م. فتمكنا من خلاله الى الوصول الى بعض التعريفات لشخصيات .

– علال الفاسي ، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط ،6 مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003م.

فقد اعتمدنا على هذا المصرد وبشكل كبير في الفصل الثالث في اصلاحات خير الدين التونسي وكيفية محاولة اعدائه لإبعاده عن السلطة .

*** المراجع :**

ومن اهم المراج التي ساعدتنا وبشكل كبير نجد :

-تامر الحبيب: هذه تونس .مطبعة الرسالة . فقد اعتمدنا عليه في كافة اجزاء البحث دون استثناء

-. احمد عبيد: التماثل والاختلاف في الحركات المغاربية (الجزائر تونس المغرب)، ط1،ابن النديم لنشر ، الجزائر ، 2010 .واستفدنا منه في الفصل الاول والثاني .

- محمد الهادي شريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال ، تع محمد الشاوش ، محمد محينية ، ط3،دار سراس لنشر ، تونس ،1993. فاستفدنا منه في الفصل الاخير وبشكل ملحوظ على تونس.

- حسن حسني عبد الوهاب :خلاصة تاريخ تونس ، ط3، دار الكتب العربية الشرقية ، تونس .فقد استفدنا منه وخاصة في الفصل الاول في الاوضاع السياسية للبلاد وفي الفصل الاخير في الحماية .

- الشيباني بنبلغيث : الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي1859.-1882 :تق عبد الجليل التميمي ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الادب والعلوم الانسانية، جامعة صفاقس،1995. ومن خلاله تمكنا من التبحر في شخصية محمد الصادق باي واصلاحاته .

الفصل الأول

الاوضاع العامة في تونس قبل الازمة

- المبحث الأول: الأوضاع السياسية .
- المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية.
- المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية .

توجهت انظار الدولة العثمانية نحو شمال إفريقيا لاستكمال عملية توسيع الامبراطورية ونشر الإسلام و حماية المسلمين ، وبعد استنجاد أهالي الجزائر بالإخوة بربروس ، ارادت الدولة العثمانية استكمال الفتح في شمال افريقيا وخاصتا تونس بسبب تعاون الحسن الحفصي مع الاسبان وهذا ما شكل خطر على الدولة العثمانية و على نفوذها في الحوض المتوسط ، وقد كانت لها دوافع عديدة تجعلها ذات قيمة كبيرة ، نذكر منها :

- موقع تونس الجغرافي في منتصف الساحل الشمالي لإفريقيا.
- قرب تونس من ايطاليا التي تشكل احد جناحي الامبراطورية الرومانية المقدسة .
- مجاورة تونس لجزيرة مالطا مقر فرسان القديس يوحنا اشد الطوائف النصرانية المعادية للإسلام والمسلمين .
- الامكانيات الهائلة التي تجعل تونس تتحكم في المواصلات البحرية في الحوض الابيض [1].
- وتزامن ذلك مع انتفاضة الشعب ضد الحكم الحفصي في تونس واستجابة خير الدين لنداء الاستغاثة وتوجه نحوا قصر القصبة وتسلم الحكم واعلن خلع الاسرة الحفصية وانضمام تونس الى الباب العالي [2].

[1] .محمد سهيل طقوس :تاريخ الدولة العثمانية من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة ،ط3، دار النفئس ،بيروت لبنان ،2013، ص220-221.

[2] نفسه :ص 222.

- وبعدها غدت تونس تابعة لدولة العثمانية ، وتم فرض السيطرة المباشرة عليها منذ عام 1574.[1]

لكن سرعان ما تم توسع انضار الحكام بتونس نحو الدول الاوربية ومحاولة ربط علاقات ودية واقتصادية فتحت الباب امام تلك الدول الاجنبية ،وبداة تونس في التنصل والابتعاد عن الباب العالي مما انجر عليه دخول البلاد في ازمة مالية حادة .

وعليه حق لنا ان نتساءل ماهي الاوضاع التي سبقت الازمة الملية ؟

- من الناحية السياسية ؟

- من الناحية الاقتصادية ؟

- من الناحية الاجتماعية ؟

[1] جمعة عليوي فرحان الخفاغجي ،وسام هادي عكار عظيم :السياسة الفرنسية حيال تونس (1881-191) .مجلة الاستاذ ،كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية ، جامعة بغداد ، العدد 214 ، المجلد 1، 2015، ص 254.

المبحث الاول : الاوضاع السياسة في تونس قبل الازمة :

ومنذ عام م1612 الى غاية 1702م حكمت تونس[1] الاسرة المرادية نسبة الى مؤسسها مراد بك الذي حكم 1612-1631 م وتلاه ابنه حمودة الذي استطاع القضاء على الثورات الداخلية ، وكذلك صد هجمات فرسان القديس يوحنا غلى السواحل التونسية ، وخلف حمودة مراد الثاني ، واستمر الصراع بين ابنائه على منصب الباي ، وانتهت الاسرة بقتل جميع افرادها[2] ، حتى مطلع القرن الثامن عشر اين اسس الحكم المحلى باستغلال زعيم الفرسان حسين بن علي [3] الاضطرابات الى ان وصل الى الحكم سنة 1705 م ، بموافقة الاهالي والعلماء ، قبل ان يأتيه فرمان الولاية من اسطنبول ، وهكذا قامت الاسرة الحسينية[4] بتوريث الحكم بتونس [5] ،وحكمت البلاد بشكل شبه مستقل عن الدولة العثمانية [6] عن طريق حكم البايات [7] ، وبالرغم من استقلاليتهم يعدون انفسهم تابعين لها من الناحية الدينية [8] ، وقد استطاع هذا الزعيم حسين بن علي اصلاح شؤون البلاد ويقضي على نفوذ العصابات المسلحة وبسط هيبة الحكم واستعان في ذلك بتكوينه قوة حربية مجهزة تجهيزا حديثا .

وتعاقب على حكم البلاد العديد من البايات وكان على يد بعضهم العديد من الاصلاحات المختلفة ، التي مست مختلف جوانب الحياة [9].

---

[1] ينظر الى الملحق رقم 1 ,ص71.

[2] اسماعيل احمد ياغي : العالم العربي في التاريخ الحديث ،ط1، مكتبة العبيكان ، الرياض، 1997 م، ص138.

[3] حسين بن علي : هو مؤسس الاسرة الحسينية وقائد على فرقة الخيالة في الجيش العثماني ،وبعد اضطراب الاوضاع السياسية في تونس استولى على الحكم ، خلفا للمراديين . للمزيد ينظر : محمد بن الخوجة : صفحات من تاريخ تونس ، تح :حمادي الساحلي ،الجيلالي بن الحاج يحي ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1986 ،ص 57.

[4] ينظر الى الملحق رقم 2, ص72.

[5] اسماعيل احمد ياغي : مرجع سابق ،ص 57.

[6] مجلة الاستاذ : مرجع سابق ،ص254.

[7] البايات : وهي جمع وهو اول القاب الاسرة الحسينية ومعرب من لفظ بك بالغة التركية ، ومعنها السيد العظيم ، وفي اصله من القاب الجيش وابناء الباشوات ، كما ان معناه في اللغة الفارسية الامير ، ودخل هذا الفظ تونس بدخولها تحت لواء الدولة العثمانية .ينظر : محمد بن الخوجة: المرجع السابق ، ص57.

[8] اسماعيل احمد ياغي : مرجع سابق ، ص 139 .

[9] نفسه :ص 139.

تميزت فترة بايات الاسرة الحسينية بعدة تطورات مهمة ، بحيث ان الاوضاع السياسية في البلاد خلالها عرفت باستعانة البايات في ادارة حكمهم باعيان البلاد من وزراء ،فنجد ان حمودة باشا 1782 – 1814 م [1]، قد استعان في حكمه بيوسف صاحب الطابع [2] ،وكذلك محمد بن محمد الاصرم [3]، وقائد الجيش سليمان كاهية [4]، ومحمد العربي زروق [5]وغيرهم [6]

اهم الاحداث التي ميزت حكم الاسرة الحسينية :

- **الحرب مع البندقية** [7]:سببها اعتدآت بعض البحارة من البندقية على التجار التونسيين كانوا عائدين الى صفاقس فعرج بهم مركبهم الى جزيرة مالطا ، فقبض عليهم وجنوة بدعوى ضهور الوباء فيهم وحرقت بضاعتهم ، فاشتكوا الى حمودة باشا فطلب من نائب جمهورية البندقية بتغريم ما اخذا من التونسيين ، فأفضى ذلك الى النزاع و الحرب بين البلدين في 1785م ، ونجح حمودة باشا في التصدي لذلك ، وانتهت بدفع البندقية الغرامة، وانعقد الصلح بين الحكومتين[8] .

[1] حمودة باشا : ولد في 8 ديسمبر 1759م وامه جارية من الاعلاج اسمها محبوبة ، تزوجها ابوه في الجزائر ، واتى به ابوه بتربيته فتعلم الدين والنحو والحساب والتاريخ وتعلم اللغة التركية ، بيع في حياة والده الاحد 9فيفري 1777م، ولما توفي والده 1782م ، تجددت بيعته .ينظر :ابن ابي الضياف : اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان ، مج 2 ، ج 3، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1999م، ص 11 .

[2] يوسف صاحب الطابع :1763-1815م ، ولد بمليفيا في اوائل النصف الثاني من القرن الثامن عشر :، للمزيد ينظر : الصادق الزمولي: اعلام تونسيون ، تع حمادي الساحلي ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان ، 1986 م، ص 34.

[3] محمد الاصرم : 1858-1925 م، ينحدر من اسرة عريقة من القيروان وكان يتردد على المدرسة الصادقية وجامع الزيتونة ، اكمل دراسته في فرنسا . ينظر : الصادق الزمولي ، مرجع نفسه ، ص177 .

[4] سليمان كاهية : هو من خواص مماليك الباشا علي باي بن حسين وخدم ابنه وترقى الى ان صار كاهية توفي 1807 م: للمزيد ينظر ابن ابي الضياف ،مصدر سابق :ج 7 ، ص56 .

[5] اصله من باجة بتونس وتعلق بخدمة حمودة باشا واوكل له عدة مهام ، كإصلاح القلاع والابراج :ينظر ابي الضياف : نفسه ، ص 130-131 .

[6] حسن حسني عبد الوهاب :خلاصة تاريخ تونس ، ط3، دار الكتب العربية الشرقية ، تونس ، ص157 .

[7] مرفئ كبير بشمال ايطاليا على بحر الادرياطيق وتسما اليوم فينيتسية وكانت بها جمهورية مستقلة ذات سلطة وتجارة بحرية عظيمة ، اما لان فهي مدينة كسائر مدن المملكة .للمزيد ينظر : حسن حسيني ، مرجع سابق ، ص157 .

[8] نفسه : ص 157 .

– **الاستلاء على جربة** : وفي تلك الفترة وفد علي بن محمد القرمانلي صاحب طرابلس ، مشردا من ولايته لاستلاء علي برغل [1] عليها ،فاكرم حمودة باشا نزوله واحسن اليه، ثم تطاولت اطماع الثائر المذكور فامتلك جزيرة جربة التابع للاياية التونسية والحقها بطرابلس ، وعند ذلك جهز حمودة باشا جيشا يتألف من اربعين الف مقاتل الى طرابلس وافتكها منه وعاد منتصرا [2].

– **حربه مع الجزائر** : جهز حمودة باشا جيشا بقيادة وزير الحرب سليمان كاهية فنز الى قسنطينة وحاصرها لكن منع بسبب انخذال الاعراب الذين معه من فتحها بسبب تفرقهم وولوا اعقابهم ، وعاودا الكرة يوسف صاحب الطابع وبعد قتال عنيف انتصر التونسيين [3].

ورغم كل الجهود التي بذلها يوسف صاحب الطابع وما حققه من نجاحات لم يسلم من اصحاب المناصب الكبيرة الذين يحسدونه فسعو به لدى الباي واتهموه بنوايا واهية لا صحة لها ، حتى اوقعوه في حبال مكرهم فقتل في 1815 م[4].

ومما زاد في اضعاف تونس هو الابتعاد عن الدولة العثمانية وكانت التبعية شكلية فقط [5]

ومن اهم الاحداث التي غيرت مجرى التاريخ التونسي احتلال فرنسا للجزائر 1830 م

حيث احتجت الدولة العثمانية على ذلك وحاولت ان تستعيد الولاية بالمفاوضات ولكنها عجزت ، فلجات الى الطريقة العسكرية ، وتخلصت من الاسرة القرمانلية في ليبيا ، وارادت ان تقضي على الاسرة الحسينية في تونس لتكون على مقربة من الجزائر ، ولكن فرنسا هددت الدولة العثمانية وكانت فرنسا تعامل بايات تونس كحكام مستقلين [6]،بحيث نجد ان فرنسا جعلت من الجزائر جسرا

---

[1] وقد اختلفت الآراء من قبل المؤرخين حول اصوله ،فالدولة العثمانية ترجعه الى اصول يونانية ،بينما يذهب البعض الاخر لارجاعه الى اصول جزائرية، واطلق عليه لفظ برغل بسبب اطعامه الجنود البرغل وهو نوع من القمع ، وهو الاسم الذي يعرف به في تاريخ طرابلس. الغرب ، وكان يسعى للاستفادة من حالة الضعف التي تشهدها الدولة العثمانية للوصول الى السلطة . ينظر : عادل محمد عثمان : حوليات ادب عين الشمس ، مج 44 ،ديسمبر 2016،ص525.

[2] حسن حسينى عبد الوهاب : المرجع السابق ،ص157-158 .

[3] نفسه :ص 158 .

[4] محمود شاكر : التاريخ الاسلامي في العهد العثماني ،ج7،ط4،المكتب الاسلامي ،بيروت ،2000، ص517 .

[5] محمود شاكر : مرجع سابق ، ص517 .

[6] نفسه:517 .

مكنها من العبور الى تونس سنة 1881م[1]، وبالرغم من التبعية الشكلية للباب العالي فإن الباي كان في حقيقة الامر مستقلا ، فهو يجمع بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ،وبإمكانه النظر في مختلف القضايا العدلية ، وتعتبر كل القرارات والمراسيم التي يصدرها قانون نافذ المفعول ، ورغم ما يتمتع به من نفوذ مطلق فإن السلطة الفعلية كانت بيد الوزير الاكبر الذي يباشر شؤن المالية والخارجية للإيالة ويساعده وزير القلم ووزير الحرب ووزير البحرية الذين يرمزون الى التقاليد العسكرية لدولة الحسينية [2].وهذا ما يظهر في افعال فرنسا تجاه التونسيين ومحاولة اضعافهم تدريجيا بقطع علاقتهم مع الدولة العثمانية تخوفا من الاسترجاع العثماني للجزائر ، وكانت سياسة فرنسا انذاك هي ابقاء تون الجارة الضعيفة للجزائر ، ومع انها اطمأنت ان العثمانيين لم يتجاوزوا طرابلس ، إلا ان القلق ضل يساورهم [3] طالما ان ان احمد باي وحاميته التركية ماتزال صامدة في قسنطينة .

وقد عرضت الدولة العثمانية على باي تونس ان يتولى حكم طرابلس ، الا انه رفض ليتجنب غضب فرنسا ، اكثر من ارضاء الباب العالي بحجة كثرة النفقات وقلة موارد الولاية [4]، وفي أوائل القرن التاسع عشر لم تكن تجمع تونس بالدولة العثمانية إلا روابط شكلية روحية [5]، وتصرف البايات الحسنيين كمستقلين في شؤونهم عن الدولة العثمانية ، فعقدوا المعاهدات واعلنوا الحرب دون الحصول على موافقة السلطان ، واكتفى السلطان العثماني بأخذ الجزية والاعتراف بسيادته الاسمية عن طريق الخطبة باسمه في المساجد وضرب السكة باسمه ن وقد تخلى البايات عن اللغة التركية لصالح العربية في المعاهدات منذ عام 1830م [6]

---

[1] علي المحجوبي : العالم العربي الحديث والمعاصر (تخلف فاستعمار فمقاومة)،ط1 ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان ، 2009، ص 38 .

[2] .علي المحجوبي : انتصاب الحماية الفرنية بتونس ،تع ،عمر بن الضو ، حليمة قرقوري، دار شراس لنشر ،1986، تونس ، ص8 .

[3] امال سويسي : العلاقات التونسية الفرنسية (1830-1881)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث ، جامعة غرداية ، 2018-2019 ،ص 13-14 .

[4] امال سوسي : مرجع سابق ، ص 13-14.

[5] الحبيب تامر : هذه تونيس ،مطبعة المغرب العربي ،ص 22 .

[6] شوقي عطاالله الجمل ، علد الله عبد الرزاق : تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر (من الفتح العثماني للعالم الى الوقت الحاضر)، د.ط، دار المعرفة، مصر، 2012 ، ص45 .

ومع مطلع القرن التاسع عشر اخذ البايات يسرون في طريق الاصلاح واضطرهم هذا الى الاستدانة من الدول الاوربية وبدا التدخل في تونس امام عجزها عن تسديد ديونها الى ان فرضت فرنسا الحماية عنها سنة 1881[1]

[1] نفسه : 45-56.

وهذا راجع الى زيارة احمد باشا 1837-1855م الى اوروبا 1846م، بحيث كانت فرصته للاطلاع على المدنية والحداثة والاقتناع بإدخال هذه التغيرات على تونس ،وهذا الانبهار بالعالم الاوربي جعله يسعى الى تقليده، بحيث قام بتنظيم الجيش بإسلوب حديث

واشاء مدرسة حربية ، وجلب ايها اساتذة من اوروبا ، وقد سار على منواله محمد باشا الذي ارتقى على عرش تونس 1855، وقد اشتهر بدستور عهد الامان [1].

وقد استمرت الاصلاحات من قوانين ومنشآت حتى اثقلت كاهل الدولة بالديون ، مما قضى على سيادتها سنة 1881م[2].

[1] دستور عهد الامان : وهو اول دستور في العالم العربي ، ويتكون من احدى عشر قاعدة : للمزيد ينظر : حسن حسني عبد الوهاب ، مرجع سابق ، ص 171.

[2] شوقي عطاالله الجمل ، عبد الله عبد الرزاق : مرجع سابق ، ص45 .

المبحث الثاني : الاوضاع الاقتصادية في تونس قبل الازمة .

نجدان الاوضاع في تونس مرت بعدة مراحل وتطورات قبل الازمة .

- **من الناحية الإيجابية والازدهار .**

من خلال تاريخ تونس وان اردنا التحدث عن الاقتصاد التونسي ، وجب ذكر تاريخه العريق ، اي ان هذا التاريخ يعود الى الحقبة الفينيقية وهم الذين النشوء مدينة قرطاجة بحيث اصبحت اعظم دولة بحرية ، فهم نقلو التجارة والصناعة والفلاحة ، واشتد التنافس بين روما وقرطاجة ، مما افضى الى حرب دمرت قرطاجة الفينقية ن واقامة قرطاجة الرومانية على انقاضها .[1]

وعند تثبيت اقدامهم على قرطاجة ، رسمت الطرق على طول البلاد وعرضها وانتشرت المزارع والبساتين ، حتى اصبحت اخصب الامبراطورية الرومانية ، واكتسى العمران تونس .

وقد جعل الرومان من المناطق القاحلة اراضي خصبة بما احدثوه من نضام الري وما حفروه من ابار ، واخذ البربر بأسباب هذه الحضارة ومساهمو في ازدهارها[2] .

اما بعد الدخول العثماني وتولي البيت الحسيني الحكم ، قد استطاعوا ان يحققون و لتونس سنوات عدده من الرخاء [3]. الا ان هذا الاخير كان متوقف على جهود الجيش ، فإن حافظ على الامن تزدهر الحياة الاقتصادية وتنمو التجارة والفلاحة والعلوم والفنون [4] .

اما مع بداية القرن التاسع عشر بدأت تونس تستيقظ بتدرج في طريق النهضة ،بحيث قامت بإدخال اصلاحات مست كل البلاد وبالخصوص الجوانب الحيوية والاقتصادية بحيث احدثت مصانع السلاح والذخيرة ،وذار لصناعة السفن وتكوين اسطول بحري ، وجلب اساتذة من اوروبا ،لتدريس في المدارس الحربية [5].

---

[1] الحبيب تامر : مرجع سابق ، ص 20.

[2] نفسه: 20-21 .

[3] الحبيب تامر :مرجع سابق ،ص20.

[4] نفسه : س 20.21 .

[5] نفسه :ص 23 .

كما انتشر العمران في تونس وازدهرت الزراعة والصناعة والتجارة [1]

الا ان دستور عهد الامان الذي نظم الادارة تنظيم عصري وسن قوانين يضمن للفلاحين حقوق وبرامج لتوزيع الاراضي الزراعية ومجلس الادارة الغابات [2]

واذا نضرنا الى حالة تونس في الفترة الاخيرة للأسرة الحسينة اي قبل الحماية ، نجد انها ارتقت واتسع نطاق عمرانها وقد احتضنتها الحكومة فكان بها الثكنات العسكرية وغيرها من المباني العائد بنفعها على السكان [3]

وكذلك عرفت تونس نوع من المبادلات التجارية في نهاية القرن الثامن عشر فقد كانت الدولة هي التي تحث على مراقبة الاسواق تجنبا لسرقة ،وخاصة المنتوجات التي تباع خارج الحدود ومن العوامل التي ادت الى ازدهار التجارة وانتشار الموانئ على الشريط الساحلي كمناء قابس وصفاقس وطبرقة ومناء تونس .

شهدت تونس تجارة متطورة فيما يخص المرجان الذي يتم تصديره لسردينيا وتصدير الجلود والشمع والزيوت والحبوب والصوف مقابل استراد القماش من هولندا و جنوة ومالطة ، كما كانت تصدر القمح الى اوروبا[4].

وقد اشتهرت تونس بصنع الشاشية وكثرة الاسواق كسوق العطارين وسوق البلاغجية

وسوق الباي التي كانت مخصصة لتجارة الاقمشة والحرير والمجوهرات والمعادن الثمينة [5].

اما من الناحية السلبية ومرحلة التدهور:

ومما ضر بالاقتصاد التونسي هو التسرب التجاري الاوربي الى البلاد التونسية منذ النصف الاول من القرن التاسع عشر ، حيث تحولت التجارة التونسية نحوا الانفتاح ومن ملامح هات التحولات

---

[1] إسماعيل احمد ياغي : مرجع سابق ،139 .

[2] الحبيب تامر : مرجع سابق ،ص 23 .

[3] حسن حسيني عبد الوهاب :مرجع سابق ،ص161.

[4] حصام صورية : العلاقات بين ايالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية ،قسم التأريخ وعلم الاثار ،جامعة وهران ، 2013،ص140-141.

[5] نفسه :145-146.

الجديدة ارتفاع الواردات على حساب الصادرات وكان الارتفاع في نسبة المصنوعات والكماليات الثمينة على حساب مستلزمات الانتاج ، وتقلصت نسبت المصنوعات الداخلة خاصة صناعة الشاشية ، وحدث خلال في الميزان التجاري وانعكس ذلك على الريال التونسي ، الذي تضرر من النزيف المالي وتدهورت قيمته في 1824م الثلث.[1]

دعمت هاته التحولات التجار الاوربيون فكدسوا الارباح على حساب إفلاس الطرف المحلى فقد سيطرو على تصدير زيت الزيتون ، الذي اصبح المورد الاول للبلاد[2]،وقد كانت تجارة هاته الايالة قائمة على مواد اولية خاصة الزراعة منها ، الزيوت الحبوب والصوف، واستراد المواد المصنعة ومنه بدا يظهر الخلل في الميزان التجاري[3] ،مما جعل القاعدة الاقتصادية للبلاد هشة بسبب عدم التفتح على الاسواق الخارجية ، التي احتكرتها فرنسا وانجلترا وايطاليا بنسبة 90% سنة 1860م [4].

- **اما من الناحية الاقتصادية على العموم :**

فان البلاد التونسية قبل الحماية تبدو مزدهرة ، وهذا ما يطبق على الجهة الشرقية [5]

فقد كان الساحل وجزيرة جربة ذا خصوبة كبيرة وقد اشتهرت الايالة بزراعة الحبوب ، وكان القسط الاوفر من نصيب الحبوب الشعير ، وكامن الارضي الخصبة في ايدي اقلية من مقربي الباي ، اما جهت الساحل فنجدها ترتكز على انتاج الزيوت وقد وجد هذا لانتاج عائق كبير منع من تطوره والاستفادة منه وهو الضرائب[6] .

وكانت وحات الجنوب وبالأخص واحات الجريد موطن النخيل وانتاج التمور التي تتراوح بين 200و300 الف قنطار سنويا .

---

[1] خليفة الشاطر واخرون : تونس عبر التاريخ (الحركة الوطنية ودول الاستقلال)، ج3، مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، 2005م، ص 8.

[2] نفسه : ص8

[3] احمد عبيد: التماثل والاختلاف في الحركات المغاربية (الجزائر تونس المغرب)، ط1،ابن النديم لنشر ، الجزائر ، 2010 ،ص167.166.

[4] نفسه : ص 167

[5] علي المحجوبي : انتصاب الحماية الفرنسية بتوني ، مرجع سابق ، ص 17 .

[6] نفسه : ص 18.

وقد لعبت القبائل دورا هاما في اقتصاد البلاد بتربيتها للأغنام التي توفر الصوف والجلود والتي تعتبر المردود الاول لصناعة التونسية مثل صناعة الاقمشة والشاشية .

وكانت كذلك هناك صناعات اخرى مثل المعادن والصباغة والعطور والتي عرفت تدهورا تاما ،بسب منافسة المنتوجات الاوربية لها المعفاة من الضرائب التونسية ، ولم تستطيع الحكومة منع او تحديد دخول هاته المنتوجات بسبب الامتيازات الاجنبية مما اضعف الانتاج وتحول اغلب الحرفيين الى بطالين[1] .

اما الضرائب التونسية :فكانت تسلط على الاشخاص وعلى المنتوجات الفلاحية والبضائع التجارية [2]، وكانت الضرائب التي تفرض على الاشخاص باستثناء طبقة اقلية من الطلبة والجنود ورجال الدين واعوان الباي ، وكانت هذه الضريبة ثقيلة اثارت نقمة اسكان فضلا على ذلك فقد كانت تفرض على البضائع التونسية الموجهة الى التصدير ، هذ ما زاد في تدهور الاقتصاد التونسي خاصة مع تنامي الاقتصاد الاوربي [3].

ومزاد الطين بلة هو توجه الدولة نحوا تجهيزات عظيمة مثل شراء السفن واستحداث الموانئ كمناء غار الملح واضافة الى انشاء دار لصناعة السفن بحلق الوادي بها معامل لسلاح[4].

وقد اقدم محمد الصادق باي منذ1859 م على مضاعفة الضرائب الجباية من 36الى 72

ريالا في 1863م فعمت الفوضى وقامت في البلاد الانتفاضة الجبائية [5]

فقد اسهم الرعايا الاجانب في التدهور الاقتصادي التونسي ، بعد ان استفادوا من ثرواتها واستنزفوا اموالها [6]، لتمويل الثورة الصناعية بالمواد الاولية وخاصة شمال افريقيا [7]، وعليه الت الاوضاع

---

[1] نفسه :19.18.

[2] علي المحجوبي :انتصاب الحماية ، مرجع سابق ، ص 11.

[3] نفسه : ص13.12.

[4] حسن حسيني عبد الوهاب : مرجع سابق ،ص 167.

[5] خليفة الشاطر مرجع سابق ، 14.

[6] شوقي عطاالله الجمل :المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا تونس الجزائر المغرب) ط1، مكتبة الانجلو مصرية ، 1977، ص291 .

[7] محمد الهادي شرف : تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال ، تع محمد الشاوش ، محمد محينية ، ط3،دار سراس لنشر ، تونس ،1993، ص92.

الاقتصادية وخاصة التجارة الخارجية في تونس نحوا التدهور ، واصبح الفلاحين مرغمين على بيع مواشيهم وممتلكاتهم ليتمكنوا من دفع الضرائب ، وارتفعت اثمان الحبوب وكافة المحاصيل ،واصبح اثرى ذلك يساقا المآت من المدنيين المفلسين الى السجون ، ووصل الامر بالحكومة الى نهب دخل الاوقاف، وكان ارباب الاموال الاوربيون يشجعون الحكومة على القرض من باريس الى ان تم ذلك في 1864م [1].

وقد خلى الجو لمصطفى خزندار [2]، وتمكن من السيطرة على الحكم بتأثيره على الحكام في البلاد، فظهر خلال عهده اختلال مالي كبير من اضطهادات جبائية ، لتغطية ما تم اسرافه على المشاريع [3]

وباتت شروط الشركات الاجنبة والاستثمار تقضي بالحصول على ضمانات وامتيازات للعمل وتنفيذ المشاريع[4] ، وكان لها الحق بعدم الخضوع للقوانين المحلية وطلب اللجوء الى قناصل عند حصول امر قضائي ، وتتم المحاكمة بقانون بلاد التابعة لها القنصلية اي البلاد الاجنبية

، وليس على حساب القانون المحلي للبلاد [5].

بحيث بدأت مظاهر الازمة تلوح في الافق بعد ان شرع الاوروبيين في استخدام ادوات متطورة ، على عكس التجارة التونسية التي لم تعرف الحداثة وبقوا يستخدمون الادوات البدائية التقليدية ، فتحولت التجارة الى ايدي الاجانب واستغلوا تصدير الغلال الى الخارج وعلى راسها زيت الزيتون ، وكانت الحرف والصناعات البسيطة هي عماد الاقتصاد التونسي وعرفت تللك الصناعات مرحلة ضعف كبيرة على يد الصناعات الاوربية المتطورة ، لان مصدر رزق اغلب التونسيين كان من النسيج وخاصة صناعة الشاشية ، فلما تقدمت الصناعات الاوربية اصبح المنتوج متوفر بسعر ارخص[6] ، ومما

---

[1] شوقي عطاالله الجمل : المغرب اعلربي الكبير في العصر الحديث ،مرجع سابق ،ص 292-293.

[2] هو مملوك يوناني ولد سنة 1817م، وبيع في اسواق اسطنبول وبيع مرة ثانية الى بايات تونس وقد تربى بقصر أحمد باي، ليعينه فيما بعد وزيرا للمالية، وقد اشتهر بمكره وسرقته الكثيرة، عزل عن السلطة عام 1873م، ، للمزيد أنظر: الشيباني بنبلغيث: الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي1859.-1882 :تق عبد الجليل التميمي ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الادب والعلوم الانسانية، جامعة صفاقس،1995،ص68 .

[3] جان غنياج : ثورة علي بن غداهم 1864، تر: لجنة كتابه الدولة لشؤون الثقافية ، الدار التونسية لنشر ن 1965،ص11،

[4] عاطف عيد: قصة وتاريخ الحضارة العربية بين الامس واليوم (تونس الجزائر)، ص60.

[5] نفسه : ص 60-61.

[6] سمير ابو حمدان :خيرالدين التونسي ، دار الكتاب العالمي ، بيروت لبنان ، 1993، ص18 .

زاد من معاناة التجارة التونسية سوء النقل وفساد الطرق ، فهم يتنقلون على الإبل والخيل والبغال ونوعمن العربات البدائية [1].

فنتج عن ذلك حركة اصلاحية ارتبطت بالمشكلة المالية ، التي نشأة بسبب اسراف البايات وطمع الوزراء وخراب ذهنهم فعجزت ميزانية الدولة عن مسايرة ما تتطلبه تلك الاصلاحات المختلفة من نفقات خاصتا بعد انتشار المجاعات والامراض وانتهى الامر بارتباط تونس بالدول الاجنبية ، بسبب الديون التي تراكمت عليها وادى ذلك الى الاشراف المالي عليها عن طريق اللجنة الدولية ،وبذلك مهدت الطريق للاحتلال[2].

وبرغم الجهود التي بذلها البايات لنهوض بالبلاد واصلاح شؤنها فق تورطوا في علاقاتهم المالية بالأجانب واستعانوا بالشركات الفرنسية والانجليزية والإيطالية في مشاريعهم وبهذا فتحو ا الطريق إلى ازمة حقيقية للبلاد ثم الى استعمار ليقضي على سيادة تونس نهائيا [3]

[1] نفسه : ص18 ..

[2] شوقي عطاالله ، عبدالله عبد الرزاق ابراهيم : تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ، ط2 ، دار الزهراء ،2002، ص276.

[3] نفسه :ص175.176.

المبحث الثالث :الاوضاع لاجتماعية قبل الازمة .

لقد عرفت تونس تنوع كبير في التركيبة السكانية فهي مكونة من جمعات وعناصر مختلفة وفدت على تونس مهاجرة او متاجرة او جاءت اليها غازية او لاجئة او حلت بها فاتحة او مستعمرة او حملت اليها رقيقة ، وقد قدمت اليها هاته العناصر من الجماعات في عصور مختلفة ، لكل منهم طبائعه وعاداته وتقاليده ، واختلطوا وتأثروا مع بعضهم البعض [1]

تركيبة السكان :

وفي توني س جماعة العبيد واصلهم من افريقيا السوداء سباهم النحاسون ويباعون في اسواق الرقيق ، كان هناك في تونس جاليات اجنبية اهمها الجاليات الفرنسية والايطالية ولكل منهما حي خاص بهم وهذا ما يظهر في الطابع العام [2]

❖ العنصر التونسي :

هو عبارة عن مزيج من عناصر مختلفة الاجناس ، اكثرهم عددا هم البربر وبعدها العرب فالأندلسيين فالترك والزنوج وببقية العناصر من الاقليات اندمجت مع السكان [3]، فالعنصر الاصلي هو من جنس البربر اختلط دمه بالعناصر الاخرة النازحة من جميع انحاء العالم ، ولما دخلت افريقية تحت حكم الرومان اختلطوا مع الرومان [4]، فاصل سكان تونس من البربر الحاميين [5]

وقد كان هناك نظام اجتماعي يعتمد على الاستغلال الفاحش للفئة الكادحة لسكان ، حيث الصبح الخماس يعيش تحت رحمت المالك ، وهكذا حُكم على السكان بحياة البؤس [6]

---

[1] حسن محمد جوهر :تونس ، دار المعارف ،مصر ، 1961،ص55.56.

[2] نفسه :ص 79.

[3] محمد بن الخوجة : صفحات من تاريخ تونس ،تح :حمادي الساحلي ،الجيلاني بن الحاج يحي ، ط1،دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان ، 1986،ص 227..

[4] نفسه :ص221.

[5] اسماعيل احمد ياغي ، محمود شاكر : تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر ، ج2،دار المريخ لنشر ، الرياض السعودية ، 1993 ، ص 91 .

[6] عاي المحجوبي : انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ،المرجع السابق ،ص 17..18.

❖ **البربر** : لقد كانوا يأخذون صفات وعادات العرب الفاتحين ويتشبهون بهم في الملبس والمركب والسلاح واندمجوا مع العرب [1].

❖ **الاتراك**:

جاءوها اثر الفتح الاسلامي لشمال افريقيا اغلبهم من الانكشارية ، تزوجوا من نساء تونسيات ، وينعتونهم بالكوارغلية [2] ، والتونسيين لم يعتبروهم اجانب عنهم ، بسبب الروابط الدينية والتركي لم يحافظ بشخصيته واندمج مع اهل البلاد الاصليين شانه شان من سبقهم [3]

❖ **العبيد** :

كانوا مئة الف او يزيد عند تم تحريرهم من الرق في دولة احمد باي الاول وقد اختلط هذا الدم بدم ابناء تونس لاسيما الجهة الجنوبية [4] وقد صدر من الباي سنة 1841م امر بمنع بيع الرقيق في السوق ، وفي سنة 1842 م[5]

صدر مرسوم بان المملوك المولود في تونس لا يباع ولا يشترى ،وفي سنة 1846م امر الباي بعتق الممالك في سائر المملكة ، ولم يأمر بذلك دفعة واحدة بل تدرج في الوصول اليه [6]

❖ **الاندلسيين** :

جاءوا اغلبهم في سنة 1607م[7] ، الى تونس بعد ان اخرجوا من ديارهم بوحشية فانتشروا في شمال افريقيا فوفدوا ملتجئين برقابهم ودينهم الى هذه الديار وخاصة تونس عثمان داي ، فانتشر العمران وشيدوا القرى والمزارع والبساتين[8]

---

[1] حسن محمد جوهر : مرجع سابق ، ص69.

[2] محمد بن الخوجة : صفحات من تاريخ تونس ،تح :حمادي الساحلي ،الجيلاني بن الحاج يحي ، ط1،دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان ، 1986،ص226.

[3] يونس درمونة :تونس بين الحماية والاحتلال ، مطبعة الرسالة ، ص15.

[4] محمد بن الخوجة : مرجع سابق ص226.

[5] احمد بن ابي الضياف : اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعه الامان ، الدار العربية للكتاب ،مج 2، ج 4،تونس ، 1999: ص86..

[6] احمد ابن ابي الضياف : اتحاف اهل الزمان مصرد سابق ،،مج 2، ج 4،تونس ، 1999: ص86..

[7] نفسه: 225.226..

[8] حسن حسني عبد الوهاب ::مرجع سابق ، 134.135.

، فمن المدن التي اسسوها زغوان وقلعة الاندلس واتخذوا في البلاد حارات عرفت باسمهم مثل حومة الاندلس وزقاق الاندلس ، وانشؤ اسواق للصناعة الحرير والنقش على الرخام والجبس ، وقد نقل اهل البلاد عنهم تلك الحرف ، واستفادا منها اهل البلاد بثورة واسعة وعمران دافق[1]. وكان عددهم يبلغ نحو مئة الف ، وقليلهم يتكلم العربية [2]

❖ يهود تونس:

لقد استوطن اليهود تونس من اقدم العصور فقد جاءت اول جماعات من مناطق مختلفة وخاصة اسبانيا التي فرو منها من شدة التعذيب [3]، ونج ان يهود تونس قد ساهموا في الاحتكار والربا الذي اودى بحياة الايالة [4].

وهم الذين كانوا يلتجؤون للعيش الهنيء في ضل الاسلام هروبا من بطش النصارى [5] .

وتدهور الوضع الاجتماعي بسبب النظام السياسي والذي هو عبارة عن مؤسسة تعمل على استغلال السكان استغلا فاحش عن طرق الضرائب لتنمية اموال الطبة الحاكمة [6]

وقد تغيرت الحياة الاجتماعية بسبب وجود الجاليات الاوربية وتكونت في مدينت تونس مناطق خاصة بالأوربيين تتميز بالعمران الشاسع على الطراز الاوربي على عكس السكان الاصليين ما عدى كبار الحكام والاثرياء وانقسمت تونس الى قسمين ، تونس الجاليات الاوربية وتونس الوطنيين من اهل البلاد .[7] ، فنقسم الشعب التونسي الى طبقتين :

– طبقة برجوازية :مستسلمة وطنت النفس بالاقتناع بتفوق هؤلاء الدخلاء ،فسارت على مستواهم ، واخذت طريق الثروة والمال ،تاركة الشعب يتخبط في اوضاعه .

---

[1] حسن حسني عبد الوهاب : مرجع سابق ، ص135-134.

[2] محمد بن الخوجة : مصدر سابق ، ص 226.

[3] حسن محمد جوهر: مرجع سابق ، ص57.

[4] حصام صورية : ص100 .

[5] محمد بن الخوجة : مصدرسابق ، ص 226.

[6] علي المحجوبي :انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، مرجع سابق ، ص21.

[7] الطاهر عبدالله : الحركة الوطنية التونسية (رؤية شعبية قومية جديدة) ، ط2،دار المعارف لنشر ،سوية تونس ، ص 15

– طبقة عريضة رات في هذا التطور مظاهر فناء الامة والدين وانقرض الخير ، وكان اغلبهم رجال الدين فغادرو الى البقاع المقدسة .

– اما المثقفين فق اقتنعوا بوجوب تطوير انفسهم والنهوض بالبلاد [1]

لقد انعكست الحياة الاقتصادية على الاحوال الاجتماعية لشعب التونسي ، فانتشرت الامراض وخاصتا المعدية منها وعم الفقر والجوع وكثر عدد المشردين والمتسولين [2]

وفي سنة 1818م وقع في الحاضرة طاعون واول من تنبه اليه رجب الطيب الافرنجي ، ولما اخبر الباي بذلك طلب بسجنه ، ودام هذا الوباء لمدة عاميين ومات به اعيان اهل العلم ووصل عدد الموتى الى اكثر من الف في بعض الايام [3]، وقد اصيب بهذا الوباء الشيخ العلامة الطاهر بن مسعود وتوفي في 25دسمبر 1818م ، وكذلك توفي ابو محمد الحسن بن الشيخ الامام عبد الكريم الشريف بنفس الوباء في 18سبتمبر من نفس السنة [4]

وفي 2ديسمبر 1849م ظهر بالمملكة التونسية مرض وبائي يعبر عنه في اراضي الحجاز بالريح الأصفر ويسمونه في تونس بالكوليرا ، وتلقى هذا الاسم من اراضي الافرنج [5]

من جانب الفكري :

اما الحياة الفكرية كان يغلب عليه الطابع الديني والتمسك بعلوم الاوائل ، وبالرغم من وجود الجاليات الاوربية في تونس فئن العلوم التي قانت تلقى في الجوامع والمدارس لم تخرج عن العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية ، وحتى المدارس التي انشاها البايات في القرن الثامن عشر لم تخرج عن تللك الوتيرة في

---

[1] نفسه : 15.15.

[2] حسيبة طيبوني ، نور الهدي زوبة :تطور الحركة الوطنية التونسية ودورها في مواجهة الحماية الفرنسية 1904.1919، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي ، قسم العلوم الإنسانية ، جامعة خميس مليانة ، 2015.2014.،ص18.

[3] احمد بن ابي الضياف اتحاف اهل الزمان ، مصدر سابق ، مج 2، ج4، 1999 ، ص 128.127.

[4] نفسه : ص 130.129.

[5] نفسه : ص 128.

التعليم ومن اشهر المدارس ،المدرسة الحسينة والتي بنها حسين باي ، والمدرسة الباشية والمدرسة السليمانية والمدرسة الجديدة بنها علي باي 1782م[1]

المدرسة الحربية او المكتب المهندسين :

انشاءها احمد باي 1840م ، وكان الغرض منها تكوين ضباط تونسيين للجيش وكانت المواد التي تدرس بها تشمل العلوم الحديثة والفنون العسكرية واللغات والتربية الدينة ، وكان اغلب المدرسين بها اوربيين[2] ، وقد تولى ادارة هاته المدرسة خير الدين التونس الذي اصح فيها زعيم الحركة الاصلاحية [3] ،وقد اختار خير الدين التونسي لتدريس في هذه المدرسة احد قادة الاصلاح الديني الشاعر الكبر محمود قبادو [4] ، احد علماء جامع الزيتونة بتولي تدريس اللغة العربية والتربية الدينية ، وقد طلب منهم تلخيص محاضرات الاساتذة الأجانب وترجمت الكتب [5]

فنجد انه ومع بداية القرن التاسع عشر ومع تولي احمد باي الحكم بدأت الحركة الفكرية الاصلاحية ومن اهم معالمها ارسال بعثات طلابية الى واربا ، واصلاح التعليم بجامع الزيتونة ، وانشاء مدارس وطنية وتأسيس مكتبات عامة لصالح الجميع [6]

- التشجيع على بناء مدارس اجنبية بتونس واهمها :

المدرسة الايطالية 1835، المدرسة المالطية 1831م ،المدرسة الانجليزية 1831 م ، المدرسة الإسرائيلية 1840م ، مدرسة ومعهد القديس لويس 1841م ، مدرسة الامومة 1846م،مدرسة شارع الكنيسة 1856 وغيرهم[1] .

---

[1] رشاد الامام : التفكير الاصلاحي في تونس في القرن التاسع عشر الى صدور قانون عهد الامان ،ط1، دار سحنون لنشر ، تونس ، 2010، ص14.

[2] نفسه : 173.172

[3] طاهر عبد الله : مرجع سابق .ص 18

[4] محمد قبادو : 1871.1813 م من مكوني المذهب الاصلاحي الفكري في القرن التاسع عشر نشاء نشات صوفية ووقف حياته للبحث والمعرفة تعاطى العلوم والحكمة والعلوم الرياضية والطبيعية وعلم الفلك ، وكان يجيد اللغة التركية والايطالية والفرنسية . للمزيد ينظر :الطاهر عبدالله : مرجع سابق ، ص 19.

[5] نفسه : ص 18

[6] رشاد الامام :مرجع سابق ، ص 170.169.

خلاصة الفصل الاول :

مستخلص من هذا الفصل ان اوضاع تونس قبل الازمة كانت على النحو التالي :

*اما في الجانب السياسي :

نجد ان تونس دخلت تحت حكم الدولة العثمانية 1574م وفي فترة قبل الازمة بدأت تونس تنفصل عن الدولة العثمانية وذلك بتقربها من الدول الاوربية وخاصة فرنسا مما جعل الدولة تفقد قوتها .وحاولت الدولة العثمانية ان تثبت الصلة بتونس لكنها فشلت بسبب التدخل الاجنبي فيها فكانت صلتها بالباب العالي صلة روحية فقط .

*اما من الجانب الاقتصادي :

فقد كانت تونس تعش حالة من التطور البسيط لتمكنها من الإنتاج والتصدير وخاصة الشاشية وزيت الزيتون والصوف وغيرها وكان لا يتم دخول اي منتوج ثانو يمكنه ان ينافس الانتاج المحلي لك مع ان فتح الباب امام المنتوجات الاوربية فقدت الصناعات والانتاج المحلى عامتا القدرة على التنافس وعرف لاقتصاد انتكاسة كبيرة ،

فكانت السلع الاوربية تتميز بالجودة والوفرة والاسعار المغرية .

* اما الجانب الاجتماعي :

عرفت تونس تنوع في السكان ملحوظ وذلك يرجع الى الشعوب التي استوطنت المنطقة منذ عهود غابرة ، فكان لذلك التنوع الاثر الكبير من ناحية تنوع الثقافات .

اما في جانب التعليم فكان يغلب عليه الطابع الديني .

[1] نفسه ص 176.172.

الفصل الثاني

جذور وبدايات الازمة المالية في تونس :

- ❖ المبحث الأول: الازمة في عهد احمد باي1837-1855م .
- ❖ المبحث الثاني: الازمة في عهد محمد باي 1855-1859م .
- ❖ المبحث الثالث: تدهور الحالة المالية للبلاد وتشكل اللجنة المالية للبلاد.

عرفت تونس خلال القرن التاسع عشر تطورات كثيرة مستها من جميع الجوانب ، وبدا الحكام في حركة اصلاحية واسعة مقلدين بذلك الدول الاوربية ، وخاصة في عهد احمد باي ، الذي انبهر بالحضارة الاوربية وذلك لما شاهده من تطور في العمران في فرنسا محاولا بذلك تقليده ، وكذلك نجد ان من خلف تعه على نفس المنوال وحاول اكمال المشروع الاصلاحي الذي بداه الحمد باي وتبعه محمد باي ، دون مراعات ما يترتب عن هاته الاصلاحات من اموال والتراجع الاقتصادي المحلي للبلاد ،وللأسف كان هناك وزراء فاسدين استغلوا الوضع لصالحهم ، فسعوا الخراب البلاد وفسادها لصاح جمع المال وارضاء غايتهم وشهواتهم على حساب الدولة ، وعليه حق لنا ان نتساءل :

- فيما تمثلت اصلحات احمد باي ؟
- ماهي اصلاحات محمد باي ؟
- وكيف بدا التوافد الاجنبي وما نتج عنه ؟

المبحث الاول : الازمة في عهد احمد باي .

❖ تولى حمد باي 1837.1855م [1] الحكم بعد وفاة ابيه ،وقد سمحت له الظروف ان شؤون الجيش قبل ان يمسك مقاليد الحكم ، وذلك اواخر عهد ابيه الذي سلمه كلما يتعلق بالجيش ، ومن يومها لبس الثوب العسكري ، وبدا بنظيم الجيش بنفسه ، وكان لا يغيب عن الثكنات وكانه واحد من جنودها وما ان آلت له شؤون الحكم والمسؤولية في الدولة ، حتى شرع في تنفيذ ما يطمح اليه [2] ، حاملا الشعور بالقلق الذي كان ينتاب اسلافه من تصرفات جنود الأتراك في الحامية العثمانية وهو يذكر جيدا ما قام به البايات قبله وآخرهم والده في تلمس الطريق ليجاد البديل لولائك الجند.[3]

حيث قام بمحاولات لتحديث ولتحضير لنهضة دون اعتبار لتنظيمات السياسية ، اذ حاول الاقتداء بالإنجازات الأوربية في عدت مجالات ، كالجيش و التعليم والاقتصاد والادارة مع الابقاء على الحكم المطلق ،فكانت هاته لإصلاحات فوقية لا ترتبط بإرادة الشعب بل بإرادة الحكام اي انها لا تقترن يقظة ذهنية على مستوى الجماهير الشعبية [4].

كما هو الشأن في البلدان الغربية ، ورغم ذلك جاءت تلك الاصلاحات مع ثقل الضرائب على السكان مما جعلهم فقراء ، فادى الى تدخل الدول الكبرى مما ادى الى فشل تللك الانجازات [5]

ونجد ان تلك التغيرات يعود سببها وبدرجة كبيرة للمؤثرات الخارجية واهماها[6]

---

[1] ولد احمد باي باشا الثلاثاء 2 ديسمبر 1806 وامه جارية ، قرا القراء وتعلم اللغة التركية والايطالية ، بويع في 10ا كتوبر1837 م، اثر وفاته ابيه واول من بايعه ابن عمه ثم الوزير سليمان كاهية ثم الوزير صاحب الطابع ثم بقيت الحاضرين . للمزيد ينظر: ابن ابي الضياف مصدر ، سابق ،ج4 ،ص .11

[2] الشيباني بنبلغيث : الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي 1859.1882م. د.ط ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، كلية الادب والعلوم الانسانية ، جامعة صفاقس ، 1995 ،ص 49.

[3] الشيباني بنبلغيث : اضواء على التاريخ العسكري في تونس من 1837. الى1917، د.ط ، مكتبية علاء الدين ، صفاقس ، ص 14.15.

[4] علي المحجوبي :العالم العربي الحديث و المعاصر ، مرجع سابق ،ص 29.

[5] علي المحجوبي : العالم العربي الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ، ص29 .

[6] رشاد الامام : مرجع سابق ، ص 19.

التأثر بأوروبا فقد كانت هناك علاقات تجارية طيبة مع فرنسا وكذلك انجلترا فقد اسسوا قنصليات لجالياتها التي تتزايد كل فترة فأفاد هذا التخطيط الفرنسي في بعث فكرة الاصلاح ، واقتناع البعض بهذا الراي واهمهم احمد باي ورجاله [1].

وفي النصف الاول من القرن التاسع عشر احدث احمد باي اصلاحات مست الجانب العسكري اكثر من غيره ، حيث بداء بجهود مضنية ، لا نشاء جيش نظامي على الطريقة الاوربية لذلك توجه بطلبه نحوا اوروبا لمساعدته على بناء جيشه وقد ضفرة فرنسا بهذه الخطوة عندما لبت الطلب ، في ارسال ضباط لهذا العمل وتم ذلك بإرسال بعثة عسكرية رسمية سنة 1843م وكان احمد باي قد بداء في ارساء ثوابت الجيش النظامي منذ سنة 1838م [2]. وقد نجح تخطيط قناصل فرنسا في استدراج احمد باي [3].

حيث يقال انه قام بزيارة الى فرنسا في 1846م، واستقبل استقبال الملوك [4]

وعومل معاملة مميزة ،وقد ادى ذلك بفتح مرحلة من التعاون الثقافي والاداري والعسكري وتمثلت في إنشاء المدارس وتدريب بعض الموظفين ، وكذلك المساهمة في تدريب وتسليح الجيش التونسي [5] وقد برز في ثلاثة عناصر مهمة :

- تطوير التجهيزات العسكرية .

- انتداب الجيوش من التونسيين .

- بعث التعلم العسكري .[6]

---

[1] نفسه : ص 27.24.

[2] الشيباني بنبلغيث : الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي ، مرجع سابق ، ص50.

[3] نفسه : ص .47.

[4] عاطف عيد :مرجع سابق ، ص 59 .

[5] عاطف عيد : المرجع السابق ، ص 59 .

[6] الشيباني بنبلغيث :اضواء على تاريخ تونس ، مرجع سابق ، ص 9.

بحث كان ومنذ توليه السلطة وهو في نيته ان يؤسس مدرسة حربية عسكرية ، وقد تمكن من ذلك سنة 1840م ، لتكون بداية عصر النهضة في تونس ووقد كان من هداه المدرسة مكتب العلوم الحربية جلب اليها اساتذة مستشرقين من ايطاليا وفرنسا وانجلترا وبات هاته المدرسة بتعليم الرياضيات والهندسة والجغرافيا واللغتين الفرنسية والايطالية [1] ،

وقام احمد باي بفصل انواع الاسلحة عن بعضها البعض اقامة وتكوينا ،لذلك ضمنت الفرق التي احدثت في الجيش البري ثلاثة انواع من الاسلحة ، فرقة المشاة وفرقة المدفعية وفرقة الخيالة واهتم بالأخيرتين بالخصوص ، وتكون سلاح الخيالة سنة 1839م وتتكون من الف فارس وازداد ذلك سنة 1850م بحيث اصبحت هاته الفرقة تملك حوالي 1120 حصانا ، ثم كون الباي فرقتين بسلاح المدفعية من حوالي 4000 جندي وتطورو اصبحوا بعد ذلك 5800جندي قسمت على اربع فرق تقيم في كل من تونس باردو حلق الواد وابراج البلاد الساحلية ، اما الجند المشاة فوصلت الى سبعة فرق في عهده وتعد حوالي 18000جندي [2].

وبذلك وصل العدد الاجمالي لكن الفرق المختلفة سنة 1853م الى 26الف جندي وهو ما يسمى الجيش النظامي[3] ، ولتجهيز هذه القوة اقتنى السفن والمعدات الحربية واستقدم المستشارين العسكريين من الفرنسيين و الإنجليز ، وقد انفق الباي اموالا ضخمة مقابل اسلحة فاسدة واتمن المستشارين الاجانب الذين تجسسوا على بلاده ودافعو بها نحو اقتراض المال وادت الى ازمة مالية حادة اثارت الاضطرابات في البلاد [4] .وقد كلف هذا الاسطول الكثير من اموال الدولة دون ان ينجز شيء فكان عمله استعراض حربي لا اكثر ، وساء حاله بعد ان كبد الدولة الكثير ، وارهق المالية التونسية [5]

ويمكن ان نلخص اهم ما جاء في عهده بما يلي :

في سنة 1839م كون الباي عسكر الخيالة وهو في غنى عنهم واسكنهم البرج الكبير بمنوبة .

---

[1] الطاهر عبد الله :المرجع السابق ، ص 17.

[2] الشيباني بنبلغيث :اضواء على تاريخ تونس ، مرجع سابق ، 21.20.

[3] الشيباني بنبلغيث : الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باس ، مرجع سابق ص 51.

[4] مقلاتي عبد الله : المرجع في تاريخ المغرب الحديث و المعاصر (الجزائر تونس المغرب ليبيا) ، د.ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د.ت، ص48.

[5] جلال يحى : المدخل في تاريخ العالم العربي الحديث ، د.ط ، دار المعارف ، مصر ، 1965م،ص 246.245.

وكذلك احدث لزمة الصابون ولزمة الزيت ، ونجدان سبب هذه الضرائب النفقات الزائدة على العسكر .

وفي الخميس 5 مارس 1840 م رتب الباي مكتب حربيا بباردو ، وهذا الاهتمام الزائد بالعسكر خلف تدهور في الحالة الاقتصادية [1].

وقد اصدر هذا الباي امرا بمنع بيع الرقيق في السوق كالبهائم والمتاجرة بهم وفي سنة 1846م امر بان المولود في تونس حر لا يباع ولا يشترى [2].

وقد زار فرنسا في 1846م وتعجب لحضارتها وعمرانها وعلومها وصناعاتها وعاد الى بلاده ديسمبر من نفس السنة ، وحاول تقليد الحضارة الموجودة هناك [3].

[1] ابن ابي الضياف : مصدر سابق ،م.2، ج.4، ص 38.16.

[2] ابن ابي الضياف : مصدر سابق ،م.2، ج.4، ص 87.86.

[3] نفسه :ص 130.

المبحث الثاني :الازمة في عهد محمد باي1855.1859.م

الت ورثة الحسيني الى محمد باي سنة 1855م [1]، وذلك حسب الطريقة الوراثية ، دون اي مشاكل ، بيد ان شخصية هذا الباي وتكونه الفكري تختلف عن سلفه وابن عمه احمد باي فهو قريب من الامية ، ولم يكن له من الطموح والاعمال ما لسابقه ولعل هذا راجع لجهله وعدم تعميره في الحكم طويلا ، فسياسته كانت مناقضة له الا ان عهده تميز بعمليتين بارزتين وهما :

—صدور عهد الامان الذي كان البند الخامس منه يخص تنظيم الجيش .

التنقيص من الجيش الذي بناه احمد باي طيلة فترة حكمه [2]

– واول اعماله التي قام بها التخفيف من الجباية خصوصا جباية بيع الحيوانات الانعام والتي اسقط اكثر من نصفها [3]، وقم بتسريح معظم الجنود وكف يده عن السخاء السابق في الانفاق والتجهيز كما فعله سلفه [4]

– وفي سنة 1858م ضرب سكة من النحاس ثم انقصها ينصف ما كانت ، و ذلك لا نها كثرة في البلاد بشكل فادح ونقصت الفضة بسب خروجها من المملكة اذا لم يجدو سلعة يشترونها عوض سلعتهم [5]

وضاق الحال واصبح الوافدون يشترطون اثمان سلعهم فضة او ذهب حتى كادت ان تنعدم ،بحيث عزم الباي بجمع قطع النحاس واستبدالها .

وقد مال الى التحسين اكثر من الامور الضرورية التحسين اكثر من الامور الضرورية ، بحيث غرس الاشجار الغير مثمرة لمستوردة من الخارج لتمام العمران [6]

---

[1] ولد محمد باي في 1811م وامه حفيدة عثمان داي قراء القران على يد ابي العباس ثم على يد محمد حسن التيطواني وتدرب ،على الفروسية والرماية ولما توفي ابن عمه تولى الحكم .لمزيد ينظر : ابن ابي الضياف ، مصدر سابق ، ج.4 ، ص .187.185

[2] الشيباني بنبلغيث : الجيش التونسي في عهد محمد الصاد باي ،مرجع سابق ، ص 58.

[3] احمد بنابي اضباف : مصدر سابق ، ج.4، ص.187.185 .

[4] الشيباني بنبلغيث : ، اضواء على التاريخ العسكري في تونس ، مرجع سابق ، ص 45.

[5] احمد بن ابي الضياف :مصدر سابق ج4 ، ص253..

[6] نفسه :ص 256.153.

وتواصلت اصلاحات احمد باي لمختلف المجالات كإيصال الماء من زغوان [1] وكان ذلك في 1955م حيث قام مهندس فرنسي بإغراء محمد باي بانه يمكن ايصال الماء من زغوان الى باردو وحلق الوادي وامكانية الاستفادة منه في شغل الارض والنبات واعطى موافقته على هذا المشروع ، وكان مبلغه حوالي سبعة ملايين ونص مليون فرنك تدفع للمهندس وتدفع الدولة ربا بنسبة 6 % وافضى ذلك الى ضعف الدولة واستنزاف خزينتها [2] .

وكذلك من انجزا هاته:

- اول من ادخل الطابعة الى لعربية الى تونس [3] وقد قرر محمد باي التقدم عن طريق التقدم الكتابي ، حيث اتخذ الطابعة الحجرية لتعميم اوامره ونواهيه ، واستحضر الة من باريس وتوسع في هذا المشروع وجلب احرفها المعدنية والاجهزة التابعة اليها من دار الطباعة من باريس [4]

- انشاء المجلس الشرعي وجعله ينعقد يومين وحضره قاضيان ملكي وحنفي .

- انشاء المجلس البلدي 1858م وانتخب اعضائه من اعيان الحاضرة وتولى هذا المجلس تنظيم واصلاح الطرق وتنويرها [5]

- وقد شجع محمد باي في عهده على زيادة الانتاج الزراعي وهو ما يفسر محاولته لجلب الماء من زغوان .

-كذلك ابطل سائر ما يفرض على الدخان والملح والجلد وغيرهم من المنتوجات الكثيرة ،وعوض ذلك بسن ضريبة جديدة ، وسمها اعانة وقدرها ثلاثة ريالات في كل شهر [6]

---

[1] عبد الكريم غلاب : قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ، ط.1 ، دار الغرب الاسلامي ، ج.2، 2005 ، ص 351.

[2] احمد بن ابي الضياف :مصدر سابق ج4 ، ص 263.161.

[3] جلال يحي : مرجع سابق ،ص 172.

[4] محمد بن الخوجة : مصدر سابق ، ص 166.

[5] جلال يحي : مرجع سابق ،ص 172.

[6] رشاد الامام : مرجع سابق 217 .

– واسقط الظرائب المفروضة على الفلاحين وهي عشر انتاجهم واحيانا تكون الضريبة اكبر من الانتاج واسقط محمد باي ذلك التنظيم المحقق ، وجعل الفلاح يدفع عشر الانتاج استنادا لحجم المحصول [1]

– واهم حدث شهدته تونس في عهد هذا الباي هو اصدار دستور عهد الامان في 9سبتمبر 1857م [2]، يمنح فيه الباي عهد الامان لسكان المملكة [3] ، بحيث نعتبره حصيلة دائمة وثابته لتفكير الاصلاحي بتونس ، الى سنة 1857م ، ورغم هذا فقد كان السبب الواضح والظاهري هو اقدام الباي بقتل يهودي ، ولما بلغ يهود باريس ماحل باخيهم في الديانة رفعوا امرهم الى السلطات الفرنسية [4].

وفي اواخر اوت سنة 1857م جهزت فرنسا جهزت فرنسا اسطول به نحوا 700 مدفع ، ونزل قائد هذا الاسطول ومن معه من اعيان واجتمعوا بالباي وقاموا بالضغط عليه هو والقنصل الانجليزي فإن لم يخضع الباي لمطالبهم ، فهم جاهزون لتدخل العسكر[5]

وطلبوا من الباي اصدار قانون للحكم بالبلاد من شانه ان يحفظ لسكان ارواحهم واموالهم وحرياتهم ، وان لم يوافق الباي فإن فرنسا مستعدة ان تهدد امن تونس بأسطولها المركب من تسع سفن حربية و سبعمئة مدفع .

وبعد انقضاء اسبوع المشاورات بين الباي والقناصل اقتنع الباي ووزرائه وصادق على عهد الامان [6] ، وهو اول دستور ظهر في العالم الاسلامي [7] ويتألف دستور عهد الامان من احدى عشر بندا [8] ، وقد نصت بنوده على المساوات بين السكان على اختلاف ديانتهم ولغاتهم وحرية الاعتقاد الديني

---

[1] نفسه :ص 218.

[2] ينظر الى الملحق رقم ،ص73-74.

[3] ابن ابي الضياف : مصدر سابق، ص . 231

[4] نفسه : ص 237.

[5] ابن ابي الضياف : مصدر سابق ،ص 237.231.

[6] .رشاد الامام :مرجع سابق ص226.224.

[7] يونس درمونة : مرجع سابق ، ص 16

[8] رشاد الامام :مرجع سابق، ص 232.

بالإضافة الى انشاء محاكم مختلفة [1] ، وان لا يستثني القانون احد ،كما سمح للوافدين على الايالة ان يتحرفوا بسائر الصنائع ،ويشتروا من الدور والاجنحة والاراضي مثل سائر اهل البلاد ، على ان يتقيدوا بالقانون القائم .

وبعدان تمت قراءة العهد في مشهد كبير من نواب الدول الاوربية وكبراء الموظفين والاعيان كتب الباي بخطه عدة نسخ من العهد وترجم الفرنسة [2].

ويعتبر عهد الامان الذي اصدره محمد باي البداية الحقيقة مشروع الاصلاحات السياسية في تونس ،والذي حرره الوزير احمد بن الي الضياف بعد مشاورات مع عدد من الشخصيات وعلى ارسها خير الدين التونسي ، عدد من الدبلوماسيين الاوربيين وتحديدا الفرنسيين – وكان دستور عهد الامان على النحو التالي :

المادة الاولى : تاكيد الامان لسائر الرعية وسكان الايالة على اختلاف الاديان والاسنة والالوان [3]

المادة الثانية :التساوي امام القانون .

المادة الثالثة :التسوية بين المسلم والغير مسلم .

المادية الرابعة :لا يجبر اليهودي على تبديل دينه والمساواة مع غيره .

المادة الخامسة : تحديد الخدمة العسكرية وتسرح العسكر بعدها .

المادة السادسة : ان مجلس النظر في الجنايات اذا كان فيه الحكم على احد من اهل الذمة يلزم يحضره احد من اهله تأنيس لنفوسهم .

المادة السابعة : ان يكون هناك مجلس لتجارة برئيس وكتاب واعضاء من المسلمين وغيرهم لنظر في نوازل التجارة .

المادة الثامنة : المساوات امام المسلمين وغيرهم في الامور العرفة والقوانين .

---

[1] ابن ابي الضياف : مصدر سابق ،ص 240.

[2] رشاد الامام :مرجع سابق، ص 234.

[3] رابحة محمد خيضر ،لمى عبد العزيز مصطفى :التجربة الاصلاحية في تونس في عهد محمد الصادق باي Route Educational & social science journal volume .6(2)jamuary.2019..1881.1859 ، ص 505.504.

المادة التاسعة :تسريح التجارة وابحتها لكل فرد .[1]

المادة العاشرة : للوافدين حق احتراف سائر الصنائع بشرط ان يتبعوا القوانين .[2]

المادة الحادية عشر : ان للوافدين على الايالة من سائر الدول ان يشتروا الاراضي .[3]

[1] رشاد لامام : مرجع سابق ، ص 253.

[2] رابحة محمد خيضر ،لمى عبد العزيز مصطفى :التجربة الاصلاحية في تونس في عهد محمد الصادق باي Route Educational & social science journal volume .6(2)jamuary.2019..1881.1859 ، ص 505.504

[3] رشاد لامام : مرجع سابق : 254.

المبحث الثالث : تدهور الحالة المالية للبلاد وتشكيل لجنة المالية .

ونتيجة لما تم اصلاحه في عهد احمد باي ومحمد باي ، وقعت البلاد في ازمة مالية بسبب الاصلاحات وسلب الاموال من قبل بعض المسؤولين[1] ، مثل مصطفى خزندار الذي عمدا لتخريب البلاد بالكامل فقد وقع اعتصار لسكان ، ولميعد هناك اي امن في اي مكان وازدادت القروض التي اثقلت كاهل الدولة بديون كبيرة ، بحيث ابرم مع مؤسسة دي ار لانجي بباريس قرضا 35 مليون ولم يكن العجز سوى20 مليون [2] والاخطر من ذلك عندما تعاون مع الاجانب وعملائه من اجل من اجل السمسرة والتزييف على حساب الدولة [3]

فنجده من المغامرين الذين سعو الاستفادة من الاوضاع في سلب الاموال بحيث كان وزير للمالية وسهر الباي ، وكان نجد محمود بن عياد الذي كان قوي التاثير على الباي وكان مسؤول عن مشتريات الدولة وقد وقع الاتفاق بين الاثنين لتحقيق الغنائم [4]، وكثرة المظالم على يد مصطفى خزندار ووزيره محمود بن عياد في الشؤن المالية ، واضطرت الدولة رغم ظروفها الى اعانة الدولة العثمانية في حرب القرم [5].

وفي سنة 1846م وقع اقتناء مئة مدفع من اخر طراز من فرنسا وكانت قديمة اشترها ب 340.000 فرنك ووقع احتسابها للحكومة بمليون ولم تكن الدولة بحاجة لشراء اي مدفع [6]

ولم تمضي سنتين او ثلاث سنوات على اقتنائه تلف وتم فقدانه ، وهذا ما لفة انتباه العامة على عكس الباي واصبحوا يتهمون الوزير الاول بالسعي الى خراب الدولة ، وقد دحضت الضرائب وكانت العامة ساخطة لما لاحظته بان الخزينة امست منهوبة بهذه الطريقة [7]

---

[1] اسماعيل احمد ياغي: المرجع السابق ، ص 140.

[2] محمد العربي السنوسي : مذكرات خير الدين باشا ، ط.1 ، مطبعة المغرب لنشر ، تونس ، 2008، ص 176.

[3] نفسه : 177.

[4] اسماعيل احمد ياغي ، محمود شاكر : مرجع سابق ، ص 94.

[5] شوقي عطا الله الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ،مرجع سابق ، ص 298.

[6] محمد العربي السنوسي : مصدر سابق ، ص 177.

[7] محمد العربي السنوسي : مصدر سابق، ص 178.

وقد شكلت تونس سوقا استهلاكية واسعة لتصريف المنتوجات الاوربية والتي استنفذت اموال كثيرة حتى اضطرت الدولة لطلب المال من الشركات الاجنبية ورجال الاعمال الاوربيين مما زاد الامر تفاقما انتشار الاوبئة والامراض وانتشار المجاعة بين طبقات الشعب الفقيرة خلال 1876م، وامام هذا الوضع المتدهور ،ومع عجز الحكومة عن دفع فوائد المال المستدان ، تواقف القتال لان وضع البلاد ميؤوس منه [1]

ورغم محاولة الحكومة التونسية من الاستدانة محليا من التجار الاجانب المقيمين في تونس ، ولكن الوضع تازم واوداد دين الحكومة حتى بلغ ان اقرض بلغ ان القرض 35 مليون فرنك بفائدة قدرها 12% ويستهلك في خمسة عشرا عام ولكن الخزينة لم تستلم الا 5.6 فرنك وضاع الباقي في جيوب رئس الوزراء والسماسرة [2] .

ويعتبر الكثير من المؤرخين ان صدور عهد لا مان منحة للأجانب من حقوق الملكية والتقاضي واقامة الصناعات كالمواطنين الاصليين وهذا دليل على ازدياد ضغط الدول الاوربية وتدخلها في السياسة التونسية ومن جهة نضرهم انه جاء تحت ضغط قنصل فرنسا وانجلترا رتشارد وود Richard Wood [3].

ويمكن من نستخلص ان فترة هذا الوزير مصطفى خزندار دامت حوالي 37 سنة [4]

وقد عرقل الاصلاحات بسبب نهبه لمال الدولة مما جعلها تعاني من عجز حاد في خزينتها ، وحاولت الاقتراض من دول اجنبية ومن فرنسا باذات وبفوائد عالية كما تم ذكره [5].

ولذلك انشئ مجلسا مختلطا لدراسة القضايا المالية ومفوضة الدائنين [6] ،وقد اتفقت الدول الثلاث ،إيطاليا وفرنسا وانجلترا ، بضرورة العمل لصالح الرعايا الاوربيين ،واستقر الراي في تكوين بعثة مالية الاصلاح شؤون المالية التونسية [1]

---

[1] .نفسه :178.

[2] عاطف عيد : مرجع سابق ، ص71

[3] جلال يحي : العالم العربي الحديث ، مرجع سابق ، ص 246.

[4] شوقي عطاالله الجمل : المغرب العربي الكبير ، مرجع سابق ، ص 290.

[5] محمد العربي السنوسي : مصدر سابق ،ص 181.

[6] عبد الكريم غلاب : مرجع سابق ،ص90.

الجنة المالية :

وقد ادى الاقتراض المتكرر عجز الدولة التونسية برد ديونها مع ارتفاع نسبة الزيادات الى اعلان حالة العجز المالي وهذا ما ادى الى تشكيل الجنة المالية لتسيير اموال الدولة التونسية وبعد تصفية الحساب وتعديل الديون وكان مجمل ما على تونس 125مليون فرنك ذهبا للأجانب مختلفين وتعهدت اللجنة بدفع الفائض لمستحقيه في كل سنة [2]، وتمثلت هاته اللجنة المتركبة من تونسيين واجانب على امتداد25 سنة تقريبا اي من 1870الى 1884م ووزارة للمالية تراقب موارد الدولة مباشرة ، وكانت هاته اللجنة تضم ما يلي :

اللجنة التنفيذية : وتتألف من ثلاثة اعضاء يراسها الوزير الاكبر خيرالدين التونسي وساعده عضو من تونس ومتفقد للمالية من فرنسا ،وكانت هاته اللجنة عبارة عن جهاز مكلف بجباية الضرائب المخصصة لتسديد الديون [3]

لجنة المراقبة :وهي تتركب من ستة اعضاء منتخبين يمثلون مقرضي الحكومة التونسية واثنان من فرنسا واثنان من انجلترا واثنان من ايطاليا ، ولهذه اللجنة مراقبة كل العمليات التي تقوم بها اللجنة التنفيذية والمصادقة عليها [4]

كما كانت اللجنتان تعقدان اجتماعات مشتركة اما لمناقشة مسائل المداخيل اول لنظر في مطالب الباي المتعلقة بمنح الامتيازات او ابرام اتفاقيات القروض وكانت القرارات تتخذ بعد حصولها على الاغلبية المطلقة للأصوات الن اللجنة التنفيذية كانت المؤهلة الوحيدة للخوض في مسائل الادارة المالية كالجباية والضرائب [5]، وهاته الصيغة التي عرفتها الخزينة التونسية خلال القرن التاسع عشر هي احدى الطرق الهيمنة بالامتثال لسياسة اعادة جدولة الديون وبرامج هيكلة اقتصاداتها تحت اشراف ومراقبة دولة في 1871.1877م حيث يحصل المقرضون على فائض سنوي قدر ب 5% [6] اي

---

[1] نفسه : ص91.

[2] حسن حسيني عبد الوهاب : مرجع سابق ، ص 175.

[3] علي المحجوبي : انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، مرجع سابق ، ص10..

[4] [4] علي المحجوبي :انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، مرجع سابق ، ص10..

[5] نفسه ، ص 10.

[6] احمد عبيد : مرجع سابق ، ص 170.169.

مقابل 25 فرنك على كل منهم ب500 فرنك بنسبة لجميع سنداتهم وعلى امتداد السنوات العشر السابقة للحماية اي 1881.1871.كان معدل الفائض يقدر ب 4.733 % في السنة [1]وهذا العبئ كلف البلاد التونسية اكثر من سنة ملايين فرنك سنويا [2]، وعندما تعجز الدولة على تسديد الديون تجبر الحكومة على تغطيته بخصم جزء من اعتمدتاها الخاصة و على ذلك فان اللجنة المالية لا تسمح بان تغيير في نضام الضرائب تفادا الى كل ما ينظم من اخطار لان كل تغير يؤدي الى نقس في المداخيل ، وفي هاذه الحالة على الباي الابقاء على النظام التعسفي[3]

ومن مما سبق يتضح ان الحركة الاصلاحية ارتبطت بمشكل المالية ونتجت بسبب اسراف البايات وطمع الوزراء وعجز الميزانية ، وانتهت بربط تونس بالدول الاجنبية بسبب الديون [4]

الامتيازات الاجنبية :

ادن الضغوط القوية التي مارستها الدول الأوربية الى اعتراف السلطات ببعض الامتيازات لصاح الدول الاوربية والتي اعطت لها الحق بحماية رعيها المتواجدين بتونس ، وكثيرا محاولة هذه الدول الى دفع السلطات المحلية الحاكمة لضبط قوانين تلزمها معاملة الاجاب بشيء من التميز ، و تعطيهم حقوقا ال تقرها القوانين السارية داخل البلاد [5].

-وكان نضام الامتيازات في تونس سلطة لدعم مصالح اوروبا في البلاد ، بحيث انه اذا ارتكب اجني جناية فإنه يمثل امام قنصل بلاده ويعود الامر اليه في عقابه او اخلاء سبيله وهم لا يتورعون في اي عمل او فعل يتيح لهم فرصة للربح ولا يحول اي اعتبار دونهم دون تنمية ثرواتهم[6]

وكان من حق الاجانب عدم الخضوع للقوانين المحلية واللجوء للقناصل وهذا بدوره سيولد الازدواجية التي تؤدي الى الفوضى ، فكيف نحاكم انسان في ارض ما بقانون دولة اخرى ، وهل تكون السلطة قائمة اذا كن الاخرون يقومون مقامها [7]، وبهاذه السلطة الاجنبية على البلاد والتي فرضت نتاجا لازمة

---

[1] علي المحجوبي :انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، مرجع سابق ، ص11.

[2] مجلة الاستاذ :العدد 214 : مرجع سابق ص 255

[3] علي المحجوبي :انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، مرجع سابق ، ص11.

[4] شوقي عطا الله الجمل ، عبد الله عبد الرزاق ،: تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ،ص 271.

[5] عاطف عيد : مرجع سابق ، ص 60 .

[6] علي المحجوبي :العالم العربي الحديث والمعاصر : مرجع سابق ، ص 40.

[7] عاطف عيد :مرجع سابق ، ص 60.

مالية حادة مما ادى الى اتساع الدول الاوربية ، الى ان فتح الباب لتدخل في الشؤون التونسية عن طرق[1] انشاء المدارس والكنائس وفي فترة محمد الصادق باي نجده خضع كليا لنفوذ الاجنبي وازدادت امتيازاتهم بشكل كبير .

وكان الوطنيون ينظرون الى هذا التدخل الاجنبي في الشؤن بلادهم نظرة السخط والتذمر ، وكانت الجنة المالية رمزا لسيطرة الغرب واداة استغلال واذلال الشعب التونسي [2]، وكان نضام الامتيازات في تونس وسلة لدعم المصالح الاوربية في البلاد [3] ، وقد وفرت هاته الامتيازات الظروف الملائمة لدعم المصاح الغربية بالتالي التسرب التجاري في البلاد في البلاد والذي زاد حدة في ضل المعاهدات الا متكافئة و التي جعلت البلاد موطننا لتجارة الاوربية لان البضائع المستوردة كانت لا تخضع عند دخولها الا رسوم جمركية بسيطة بنسبة 8 % من قيمتها زيادة على ذلك كونها معفاة من الضرائب المحلية ، ودعمت بحق ملكية العقار وقد ورد هذا الحق من قبل سنة 1857م في دستور عهد الامان [4].

فاصبح كل من قنصل فرنسا وقنصل إنجلترا يتنافسون للحصول على اكبر قد من الامتيازات ،، مما جعل الباي مضطرا الى تعديل كفتي المزاحمة بإعطاء كل من القنصليتان من الامتيازات والترضيات ما يساوي للأخر [5] ، فقد حد نضام الامتيازات سيادة الحكومة التونسية التي لم يكن بوسعها وضع حد لتجاوزات الاجانب المقيمين بتونس كما انه لم يكن بوسع الحكومة منع او تحديد دخول البضائع الاجنبية الى البلاد او حتى التحكم في سياسيها الجمركية لحماية الصناعات المحلية من المنافسة الاوربية ، فعرفت المنتوجات التونسية تدهوا[6]

وفي ضل هذا التنافس والصراع ولامتيازات تمكنت إيطاليا بضغط على الباي محمد الصادق 1882.1859م. من الحصول على امتيازات[7]

---

[1] اسماعيل احمد ياغي : العالم العرب في التاريخ الحديث ، مرجع سابق ، ص140 .

[2] شوقي عطاالله الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث : مرجع سابق ، ص 297.296.

[3] علي المحجوبي : العالم العربي الحديث و المعاصر ، مرجع سابق ، ص 40 .

[4] نفسه: ص 41.40.

[5] الطاهر عبدالله : مرجع سابق ، ص 21.

[6] علي المحجوبي : العالم العربي الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ، ص41.40.

[7] الطاهر عبدالله : مرجع سابق ، ص 21.

، وقد كلفت بريطانيا في هاته المهمة القنصل ريشاد وود Richard wood، وانجر على هذه التطورات ظهور تفوق دبلوماسي انجليزي بتونس [1]كما ان فرنسا كلفت قنصلها لين روش leuon Rosches بالوقوف ضد المحاولات البريطانية وفي الطرف الاخر برز دور القنصل البريطاني وخلال الفترة 1855.1879م، حاولت فرنسا ابعاد تونس عن الدولة العثمانية اما بريطانيا كانت لها بالنقيض تحاول تقوية هاته العلاقة لا بعاد فرنسا عن تونس وتوجت مجهودات بريطانيا بالحصول على امتياز مد خط حديد بين تونس وحلق الوادي [2] بحيث تقدمت شركة انجليزية وحصلت على امتياز لمدة 99سنة بإقامة خط حديدي بين تونس وحلق الوادي واقيم هذا الخط ووقع استغلاله لمدة طويلة من الشركة الحاصة على الامتياز ثم باعته لشركة ايطالية [3] وبع فترة وجيزة تقدمة شركة انجليزية اخرى بطلب الحصول على امتياز خط جديد ينطلق من تونس ويمتد الى الداخل حتى جندوبة ومنها الى الكاف وهو مركز النشاط الفلاحي للإيالة وحاز هذا الامتياز على موافقة الباي واقر مستشاروه بانه لمصلحة البلاد [4] واثارت الناجحات التي حققتها بريطانيا مخاوف فرنسا وسعت هي الاخرى بجهود من قنصلها بتونس للحصول على امتيازات مماثلة وهذا ما تم بالفعل سنة 1879معندما نجح الاخر في الحصول على امتياز مد خط حديدي يربط بين تونس والجزائر [5]،

حيث احيل تنفيذ المشروع الى شركة باتنيول الفرنسية التي كلفت احدى فروعها العاملة في الجزائر والمعروف" بو. قالمة" ; Bone quelma وقد دشنت هاته الاخرة في 1879م الجزء الاول من الخط ،كما حصلت الشركة نفسها سنة1880 م على امتياز مد الخط

الحديدي الرابط بين سوسة من جهة وتونس وبنزرت من جهة اخرى وتوصلت في نهاية الامر الى الحصول على امتياز مد كل السكك الحديدية في البلاد [6]

---

[1] الطاهر عبدالله : مرجع سابق ، ص 21.

[2] رابحة محمد خيضر ،لمى عبد العزيز مصطفى :التجربة الاصلاحية في تونس في عهد محمد الصادق باي Route Educational & social science journal volume .6(2)jamuary.2019..1881.1859 ، ص519.

[3] محمد العربي السنوسي : مصدر سابق ، ص 50.

[4] نفسه : ص 50.

[5] رابحة محمد خيضر ،لمى عبد العزيز مصطفى : مرجع سابق ص 520.

[6] علي المحجوبي :العالم اعربي الحديث والمعاصر ،مرجع سابق ،ص 45.

كما حصلت شركة باتينيول على امتياز حفر مناء بتونس العاصمة ، وقد اهتمت الشركات الفرنسية بشراء الاراضي التونسية مثل اهتمامها بحفر الموانئ ومد الخطوط الحديدية ولهذا الغرض فتحت شركة مارسيليا للإقراض في 1879م فرع لها في تونس عرفت باسم الشركة الفرنسية التونسية للإقراض ، والملاحظ ان الشركة كانت وثيقة الارتباط بتجمعات مالية كبرى وذلك بتسهيل تمويل المشاريع [1].

وفي الاخير نجد انه ومع بداية القرن التاسع عشر ازدد نشاط الجاليات الاجنبية الى تونس وشرع البايات في استقدام الاجانب ومنحهم العديد من المشاريع مما حمل القناصل على التدخل لحماية مصالحهم [2]

ومنذ النصف الأول من القرن التاسع عشر تغيرت موازين التجارة الخارجية التونسية التي تحولت نحو الانفتاح [3] وهذا بعد المحاولات الجنبية لفرض السيطرة على الاقتصاد التونسي بكل الاساليب [4]بحيث جهل البايات كيفية التصرف امام هذا الوضع [5]

[1] نفسه : ص44.45.

[2] مجلة الاستاذ :مرجع سابق، ص254.

[3] خلفة الشاطر : تونس عبر التاريخ ، مرجع سابق ، ص8.

[4] عاطف عيد : مرجع سابق ، ص 60.

[5] احمد عبيد : التماثل والاختلاف ، مرجع سابق ، ص 167.

خلاصة الفصل الثاني :

نستخلص من هذا الفصل الذي تحدثنا فيه على شخصيتان لكل منهم مميزاته .

-فاحمد باي 1837-1855م:

* قام بعدت تغيرات على البلاد وذلك نابع من انبهاره من الحضارات الاوربية ، وقد تجلى ذلك في تطويره للجيش والتعليم والاقتصاد ولإدارة مع البقاء على احكم المطلق للباي ،

*ونجد ان تلك التغييرات سببها وبالدرجة الاولى التأثرات الخارجية ، وهذا الاهتمام الزائد بالجيش كلف الخزينة الكثير وامتد الى الجانب اقتصادي الذي تدهر اثر ذلك .

-اما فترة محمد باي 1559-1859:

* التنقيص من عدد الجيش الذي يكلف الخزينة دون الحاجة له .

*التخفيف من الجباية.

*صرب سكة من النحاس سنة 1858 م ثم تراجع عنها .

*انشاء المجالس ، وشجع على الزراعة ، ونجد ان معظم اعماله كانت ثانوية وكانت البلاد في غنى عنها .

*واهم حدث وقع في عهده صدور عهد الامان بحث كان يخدم وبشكل كبير الجانب لما فيه من حقوق وامتيازات للأجانب

- ورغم الاعمال التي قام بها احمد باي ومحمد باي فتحت الباب الاجانب الاستغلال ثروات البلاد ، فتولد عن هاته الاصلاحات دخول البلاد في ديون وقروض كبيرة ، ونتج عنها ايضا تدهور الاقتصادي ، وما ترتب عليه من عقد اللجنة المالية التي تنقس من سادة الدولة .

الفصل الثالث

اصلاحات محمد الصادق باي و خير الدين التونسي وانعكاساتها .

- **المبحث الأول: اصلاحات محمد الصادق باي وخير الدين التونسي .**
- **المبحث الثاني: ثورة علي بن غداهم 1864م .**
- **المبحث الثالث: الحماية الفرنسية على تونس**

ففي هذا الفصل تطرقنا الى شخصيتين مهمتين في تاريخ تونس وهما شخصية محمد الصادق باي وخير الدين باشا .

بحيث تسلم محمد الصادق باي الحكم بعد وفاة اخيه محمد باي وكان منذ توليه الحكم عاقد النية على اصلاح اوضاع البلاد ، فأنشئ عدة منشئات جديدة كان بإمكانها ان ترسم معالم لحضارة جديدة ومتطورة ، لاكن هاته الاصلاحات اصطدمت بعقبات حالت دون نجاحها .

كذلك سنتعرف في هذا الفصل على شخصية خير الدين التونسي ، وكما يعرف رجل الاصلاح والاكثر شهرت في تاريخ تونس لمواقفه الحازمة تجاه المفسدين ، بحث سنتحدث على اهم اعماله خلال فترة توليه الوزارة .

ثم سنتطرق الى ردود الفعل الشعبية اتجاه الاصلاحات .

وفي الاخير سنتحدث عن ناتج الازمة المالية في اضعاف الدولة ودخولها تحت الحماية الفرنسية .

لكن السؤال المطروح :

-ماهي اهم الاصلاحات التي قام بها محمد الصادق باي وخير الدين باشا ؟

- ماهي ابرز ردود الافعال اتجاه الاصلاحات ؟

- ماهي الاسباب والدوافع التي ادت بتونس الوقوع تحت الحماية الفرنسية ؟

المبحث الاول : اصلاحات محمد الصادق باي وخير الدين التونسي .

ولد محمد الصادق باي حسين بن محمد باي [1]في 7 فيفري 1817م ورث الحكم ن اخيه بشكل طبيعي في 27ديسمبر 1859م ، وهو الباي الثاني عشر عن سلسلة الاسرة الحسينية منذ سنة 1705م، وقد دام حكمه 22 سنة كاملة ، ويعتبر اكثر اخوته ضعفا ، حتى وقع اسيرا لبعض وزرائه الذين وفرو له كل ما يطلب لكي يبقى بعيدا عن الحكم فاصبح قليل الاكتراث بشؤون الحكم ، تاركا الاهتمام بالسياسية وحاجيات الرعية للوزير الاكبر واعوانه [2] رغم ذلك نجد ان فترة ولاية محمد الصادق (1859-1881م) حاسمة في تاريخ تونس ويجمع الكثير من المؤرخين على ان محمد الصادق باي كان منذ بداية عهده عاقد النية على الاصلاح[3] بحيث عمل على تطبيق اصول الدستور 1860م فانشت المجالس القضائية ،كما انشئ مجلس الشورى (شبه برلمان) يناقش القضايا السياسية والاقتصادية [4] .

ومن اهم اعماله : اصدار دستور 1861 م ذا طابع لبرالي حيث نضمه تنظيما جديدا لمؤسسات الدولة ، ونص الدستور على انشاء مجلس اعلى ، يحتوي على ستون عضوا يعينون من طرف السلطة التنفيذية لمدة خمسة سنوات مكلفون بإعداد القوانين لمتابعة ميزانية الدولة ، انشاء مجلس للوزراء له صلاحية السلطة التنفيذية ، اقرار استقلالية القضاء مع تنظيمه بحسب التقاضي على درجتين الى جانب اعتماد احكام عهد الامان ، اقر دستور 1861 مبدا فصل السلطات النسبي بين المؤسسات لدولة : تنفيذية ، تشريعية ، قضائية [5]

بعد ذلك الانجاز العظيم الذي حققه التفكير الإصلاحي دخلت البلاد التونسية الاول مرة في تاريخها مرحلة دستورية شورية قائمة على الانظمة والقوانين الحديثة ، وقد شكلت وزارة تونسية جديدة ، كان من أعضائها عدد من المصلحيين منهم خير الدين كوزير للبحرية وابن ابي الضياف كاتب عام

---

1 ينظر الى الملحق رقم 4, ص75.

[2] الشيباني بنيلغيث :الجيش التونسي في عهد محمد الصادق ، مرجع سابق ،ص 65 .

[3] شوقي عطاالله الجمل : المغرب العربي الكبير ، ص 118.

[4] عبد الكريم غلاب : قراءة جديدة في تاريخ المغرب ، ج 3 ، ص،90.

[5] احمد عبيد :مرجع سابق ، ص 161.

لدولة ورئس مجلس خاص بالخارجية [1] كما عين بعضهم في المجالس فكان مصطفى صاحب الطابع رئسا لمجلس النواب وبعد وفاته خلفه خير الدين ، وبتنفيذ ذلك الدستور تعددت المجالس وتنوعت التشريعات والتنظيمات الضابطة لشؤون الدولة كل في اختصاصه وميدانه منها المجلس الاكبر ، البرلمان والمجلس الخاص لباي والمجلس الاعتيادي ومجلس التحقيق (الاستئناف) ومجلس الجنايات ومجلس الضبطية للحكم في القضايا اليومية الصغيرة ، والمحاكم المختلطة والتجارية والعسكرية وغيرها كثير [2].

كما شمل الدستور تنظيم الادارة وشؤون الاوقاف ،كما سن قانون جديد يتضمن حماية حقوق الفلاحين ، وانشات ادارة الصحة وادارة الغابات كما نظمت مناهج التعليم بجامع الزيتونة واسست المدرسة الصادقية لدراسة العلوم الحديثة واللغات الاجنبية وارسلت البعثات الى اوروبا وفرنسا وايطاليا [3]

ونجد ان هذا الدستور تطبيق لعهد الامان الذي يقتضي المساوات في الحقوق وتكفي باحترام الاشخاص ، ولاكن ورغم تعيين خير الدين على المجلس المكون من 60 عضوا [4] ولم يستطع هذا الاخير ان يحقق الكثير من الاصلاح بسبب سيطرة الباي عله وشل اعماله ، الامر الذي جعل العلماء يعارضون وعلق الباي العمل بالدستور بد ان ثارت ضده القبائل عام1864[5]

واجهت الدولة مصاعب عديدة بسبب تراكم الديون علها واضطر رئس المجلس الكبير على اثرها الى الاستقالة 1862.وعلق الدستور سنة 1864م [6]، ويحمل العلماء سبب الاوضاع التي وصلت اليها البلاد الى المقربين للباي والذي القى اليهم مقاليد الحكم فأساءوا التصرف واستغلوا الثقة الممنوحة لهم الاثراء انفسهم على حساب الوطن وامنه ، ولعل ابرز دليل هو انقياد الباي الى شخصيات ثبت انها لم تكن اهل لثقة وفي مقدمة هؤلاء وزيره الاكبر مصطفى خزندار الذي تولى عدت مناصب في وقت واحد وزارة العمالة والداخلية والخارجية والمال، كما كانت مرتباته ضخمة جدا في وقت كانت البلاد

---

[1] رشاد الامام ، مرجع سابق ، ص 388.

[2] نفسه :ص339.338.

[3] يونس درمونة :تونس بين الحماية والاحتلال . ص16.

[4] حسن حسني عبد الوهاب :مرجع سابق ، ص174.

[5] اسماعيل احمد ياغي : مرجع سابق ، ص 346.

[6] محمود شاكر : التاريخ الاسلامي ، ط2، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ج 14، 1996،ص 122.

واهلها يعيشون في ضائقة مالية ولم يكتفي بذلك بل حرس على ان يحل على الثروة بكل الطرق ، ومن المؤسف ان الباي لم يأخذ موقف حازم من وزيره ، مما جعل الحكومة تلجا لاقتراض لسد عجزها بأرباح فاحشة ،والنقطة التي افاضت الكاس هي مضاعفة الباي لضرائب على الاهالي واصدر سنة 1863م قرار بذلك فكان بمثابة شعلة نار الثورة [1]

خير الدين التونسي :

لقد كان خير الدين باشا التونسي[2] 1821.1889م محبا للإصلاح مناصرا استثنائيا لقيمتي الحرية والعدل ، رجل ساهم فكرا وممارستا في نحت المشروع الاصلاحي العام للبلاد التونسية ، فكان السند القوي لمحمد باي حين صدر عهد الامان ، الذي ضمن لتونسيين مساوات في الحقوق وناصر بقوة الصادق باي لما اصدر دستور 1861م ، وعندما نتامل مضامين افكار خير الدين الاصلاحي ، يبهرنا بعد نضره ووعيه المبكر بضرورة شمولية الاصلاح على المجالات كافة كالإدارة والتعليم والاقتصاد والسياسة [3]

وكان خير الدين من المصلحين الذين تأثروا تأثيرا عميقا بمبادئ الثورة وافكارها واقتنعوا بان على الشرق ان يغيروا اساليب الحكم الاستبدادي ، وقد درس خير الدين القوانين والتنظيمات الجديدة التي صدرت تركيا في عهد الخليفة عبد المجيد الاول ، واخذ من كبار المصلحين العثمانيين التي ترمي الى التخفيف في المطلق المطلق وتعمل على ايجاد دستور عثماني مقتبس من الدستور الانجليزي [4]

وقد حاول خير الدين 1873.1877م ان يؤسس ادارة نزيهة منظمة ، وان يطهر الحالة المالية المتعفنة فاحرز بعض النجاح كما حاول ايضا ان يعيد انضر في تنظيم شؤون القضاء والتعليم ، بحيث نجد ان خير الدين هو الناطق الرسمي باسم جماعة من المصلحين امثال ابن ابي الضياف وبيرم الخامس [5]

---

[1] شوقي عطاالله الجمل : المغرب العربي اكبير ، مرجع سابق ، ص 120.119.

2 ينظر الى الملحق رقم 5,ص 76.

[3] مذكرة خير الدين باشا : تح ،محمد العربي السنوسي ، ط1، بيت الحكمة ، تونس ،2008 ، ص5.

[4] علال الفاسي : الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ، ط6 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2003 ، ص43 .44.

[5] محمد الهادي الشريف : تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال ، تع محمد الشاوش ، محمد عجينة ، ط3 ،دار سراس لنشر ، 1993 ، تونس، ص 99.

وكان خير الدين فصيحا في العربية عارفا بالتركية والفرنسية وشديد التوقير لشريعة والعلماء ، محافظ على شعائر الدين [1] ، وقد اصبح فيما بعد زعيم الحركة الاصلاحية بتونس والذي كان لعمله الاصلاحي التأثير الكبير والجوهري على تاريخ الحركة الوطنية الاصلاحية في تونس قبل الدخول الفرنسي [2] وتولى خير الدين الوزارة الكبرى سنة 1873 م وهو رجل الاصلاح الثاني وكان يسعى لا دخال اصلاح شامل لتونس وكان لها ان تنهض لو لم تجهض اصلاحاته بتولية مصطفي بن اسماعيل .

وبدا خير الدين بربط علاقات ودية مع الدول الاجنبية فعقد معهم معاهدات صداقة [3] وقد ورث وضعية مالة سيئة وقروض مزعجة لدولة لذلك انشئ مجلس مختلطا لدراسة القضايا المالية ومفاوضة الدائنين ، ومن اصلاحاته توحيد القضاء وانشاء اول مجلس صحي لمراقبة الاوضاع الصحية في البلاد ، وقام بتنظيم ادارة الاوقاف 1875م واصدر قانون الاصلاح الزراعي ووزع اراضي الدولة على صغار الفلاحيين ، ولعل اهم اصلاح ثقافي انشاء المدرسة الصادقية[4] ، ونظم التعليم الاسلامي في جامع الزيتونة .

ويبدو ان جهوده التي بذلها منحته نفوذا كرجل دولة وكان منافسوه له بالمرصاد فسعوا به وضايقوه ووجد نفسه في معركة لا جدوى منها فتخلى عن منصبه سنة 1877م [5].

وتميز خير الدين التونسي عن غيره من رجالات النهضة في القرن التاسع عشر في انه جمع بين شخصية المفكر ورجل السياسية ، الامر الذي جعله صاحب تجربة فريدة بين مختلف التجارب التي خاضها غيره من رجال الاصلاح[6]

وبفعل جهوده تم تعديل الدستور1861 وفق لمبدا فصل السلطات وإقامة نظام برلماني وتأسيس مجلس تشريعي له سلطات واسعة منها خلع الأمير أذ خالف أحكام الدستور، ونظمت الإدارة المحلية

---

[1] سهام شابي : الفكر الاصلاحي لخير الدين التونسي 1307.1225 هـ .1889.1810 م من خلال كتاب اقوام المسالك في معرفة احوال الممالك ، مذكرة لنيل شهادة الماستر 2014.2013م

[2] طاهر عبد الله : الحركة الوطنية التونسية (رؤية شعبية قومية جديدة 1956.1830) ، ط 2،منشورات دار المعارف ،سوسة ، تونس ، د.س، ص 18.

[3] عبد الكريم غلاب : قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ، ج3، مرجع سابق ، ص90.

4 ينظر الى الملحق رقم 6،ص77.

[5] عبد الكريم غلاب : مرجع سابق ،ص91.

[6] سمير ابو حميدان: خير الدين التونسي أبو النهضة التونسية، دار الكتاب العالمي،بيروت،1993،ص6.

تنظيم عصرياً[1] ويعد توليه رئاسة الحكومة 1869 بدأ في الإسراع في تطبيق البرامج الإصلاحية التي كان لها الأثر العظيم في تكوين النهضة التونسية قبل الاحتلال واستمرت بعد الاحتلال وهي :

. إنشاء المدرسة الصادقية .

– تنظيم التعليم بجام الزيتونة .

. إنشاء المكتبة العمومية ، المكتبة العبدلية .

. تشيع الطباعة والصحافة [2]

وغير أن خبر الدين كان عليه مواجهة شيء آخرا وأن يجد له علاج، هذا الشيء الذي يتمثل تحديداً بالفساد الذي استفحل على يد اناس يقفون على رأس الهرم في السلطة يمتصون دم التونسيين ولقمة عيشهم ويأتي على رأس هؤلاء .

كما أن مصطفى خزندار كان الوزير الأول[3]، على أي حال فقد حدد خير الدين أساسيات للخروج من الأزمة الاقتصادية والسياسية في تونس وأهمها:

تطهير الدولة من الأشخاص الفاسدين ، إصلاح الاقتصاد أما بالنسية الى الاساس الأول فقد أتجه خير الدين إلى الوزير الأول مصطفى خزندار لكونه يمثل أكبر بؤرة للفساد في تونس ، خاصة أن فضائحه ورشاويه وذائله تدور في الشارع التونسي على كل لسان، وظل خير الدين على خمس سنوات يحاول الإيقاع به[4].

لكن لم يتمكن منه خاصة أن الباي التونسي محمد باشا كان لايزال يؤمن به وما يعوزه من غطاء شرعي ،أما الشيء الذي حال دون وقوع خزندار هو مكره ودهائه[5]

وقد حاول المصلح التونسي ان يطبق آرائه الحديثة لاكن اصطدم بعقبتين كبيرتين :

---

[1] الحبيب تامر: المرجع اليابق،ص2221.

[2] الطاهر عبد الله :الحركة الوطنية التونسية ،ط2،ص23.

[3] سمسر أبو حمدان: المرجع السابق،ص41-42.

[4] نفسه، ص42

[5] سمير أبو حمدان: المرجع السابق، ص42

– اولهما الوزير الاكبر مصطفى حزندار الذي حكم تونس مدة 34 عام وقد انت خزينة الدولة والشعب من الابتزاز .

– مشايخ الدين الذي كان لهما نفوذ المطلق على ذهنية الامة .

مع عامل تخوف الشعب التونسي من الاصلاحات التي كانت تقتبس من الغرض ضنا منهم ان كل شيء غربي يمس بكيان الامة ووجودها .

وحاول خير الدين التونسي بكل الوسائل ان يكسر شوكة الخزندار ولم ينجح ، فاهتدى الى الوسيلة الوحيدة وهي استعطاف الباي الى ان انتهى الامر بتغلغل نفوذ خير الدين التونسي في البلاط، فاستطاع ان يقنع الباي بقبول الفكرة الدستورية فاعلنه سنة 1867م دستور المملكة التونسية الجديدة ، وكانت الخطوة الجريئة خير وسيلة لنهوض الدولة وحمايتها ولن يعجب هذا الفعل الدول الاجنبية فقاومته بعدت طرق مما جعله حبر على ورق [1] وفي 7سبتمبر 1869م صدر مرسوم تكليف خير الدين التونسي براية اللجنة المالة ووزيرا مباشرا

وتكومن اللجنة باقتراح من فرنسا لتصفية الديون وحماية مصالح الدائنين للحكومة التونسية وانضمت إنجلترا وايطاليا لهذا الاقتراح وتم تكوينها ، وضمت مندوبين انجليزيين وفرنسيين وايطاليين [2]

وبعد كل هذه الأحداث وما وصلت له البلاد جراء النهب والسلب لخزينة الدولة من طرف الخزندار ، وكان من الواجب الى الباي ارضاء رعيته واقامت العدل ولا يكفي افاء الوزير الاكبر بل يجب تسليم شؤون البلاد في ايادي امنة ، بحيث دعا خير الدين الى جانبه وكلفه بمهام الوزارة الكبرى وباشر العمل في 23 سبتمبر 1873م [3]

ومن الاصلاحات التي اعتمدها توحيد القضاء وانشاء مجلس صحي لمراقبة اوضاع البلاد بد الكوارث الوبائية التي عانتها تونس [4]

وفي الاخير نجده ترك بصمته الواضحة كوزير مصلح وكانت فترة وزارته هي الفترة الوحيدة المضيئة خلال حكم صادق باي [1]

---

[1] علال الفاسي : مصدر سابق ، ص ص 44.43.

[2] محمد الربي السنوسي :مذكرات خير الدين باشا . بيت الحكمة ، 2008 ، ص ص 31-32 .

[3] محمد العربي السنوسي /: مرج سابق ،ص 193 .

[4] عبد الكريم غلاب : مرجع سابق ، ص91.

المبحث الثاني : ثورة علي بن غذاهم .

كان من سوء حظ تونس ان وجد الى جانب الحاكم محمد الصادق باي شخصية قوية مثل مصطفى خزندار بحيث سخر جميع مجهوداته في جمع المال خاصة بعد ان ابعد خصومه مثل خير الدين باشا[2] فقد فوجئت الحكومة التونسية في ربيع سنة 1864 م ، بقيام ثورة[3] شنتها عدت قبائل لم تلبث اسابيع الى ان عمت البلاد باسرها ، وقد كان سببها المباشر الزيادة في الضرائب الا ان الشعب كانت له اسباب اعمق من ذلك [4].

فكان الناس يعانون من تعسف رجال الحكومة والعسر الشديد للحالة الاقتصادية للبلاد وتأخر دفع مرتبات الموظفين والجند ، في الوقت نفسه كانت مظاهر الثراء الفاحش لبعض الناصر المتمسكة بدفة الحكم ظاهرة للعيان وجاء خبر ارتفاع الضريبة بمثابة الشرارة التي الهبت النار بالهشيم ، فجاهر العامة بالعصيان وتحركت جميع القبائل تعلن نقمتها على الدولة [5]

فكان هذا البلد المفلس مسرحا لثورة وخاصة مدن الارياف والساحل وصفاقس في كانت تحتاج الى اصلاحات حقيقية لتغيير نظرة الشعب في الاصلاحات التي اضحت تظهر الدولة في اعين هؤلاء الاهالي الثائرة كهيئة نهب لخدمة الاجانب [6] بحيث كان الاهالي ينضرون إلى التغيرات التي تمت على البلاد على انها ترتيبات جديدة لم يلمسوا منها فائدة تذكر بل بالعكس كانت سببا في سن ضرائب مجحفة وزادة من تسلط المسؤولين وكانت وسيلة لإنماء ثرواتهم ، واصبحوا يعتقدون ان تلك القوانين الجديدة التي سنها المسؤولين عندما افلست الدولة ، فأرادوا اشراك السكان المسؤولية [7]

---

[1] الشيباني بنبلغيث : الجيش التونسي ، ص70.

[2] شوقي عطاالله الجمل :المغرب العربي في العصر الحديث ، مرجع سابق ، ص 294.

3 ينظر الى الملحق رقم7 ، ص78.

[4] جان غانياج ، ثورة علي بن غذاهم 1864م، تر: لجنة من من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1965م ، ص11.

[5] شوقي عطاالله الجمل :المغرب العربي في العصر الحديث ، مرجع سابق ، ص 294.

[6] احمد عبيد : مرجع سابق ، ص162.

[7] رشاد الامام :مرجع سابق ، ص 405.

اثر هذا الوضع الاقتصادي العام في المواطنين ، ولاسيما بعد فرض الضرائب العديدة عليهم من قبل الوزير الاكبر مصطفى خزندار ادى ذلك الى حدوث ثورة مضادة على الباي ووزيره الاكبر[1] ، بحيث ثار سكان الاهالي المثقلين بالضرائب والمعرضين للمظالم [2] .

وكان الحداث ضريبة المجبي[43] او الاعانة سنة 1856م لتعوض بعض الاداءآت والترفيع في الموارد الجبائية الداخلية وحدد المجبي بقيمة 36 ريال على الذكور البالغين من الرعية [5]

وعند تأزم الوضع المالي للبلاد اثر القرض الخارجي سنة 1863م عزم الباي على مضاعفة المجبي رغم معارضة رواد الاصلاح في حاشيته ونصه بتجنب البلاد ذلك لانه يسرع بالبلاد نحو الهاوية ، فقرر في سبتمبر 1863الترفيع في المجبي من 32الى 72 ريال وتعميمها على كافة الدن فاهتزت البلاد عند بداية تطبيق هذه القرار في افريل 1864م [6]

وكاد خبر ارتفاع ضريبة الجبي ان ينتشر في القطر حتى ثارت خواطر السكان ولاسيما قبائل البادية فانهم تجمعوا واشهرو السلاح ، وكان في مقدمتهم الزعيم علي بن غداهم من قبيلة ماجر [7]

وقد عبر علي بن غداهم [8] عن دوافع الثورة في رسائله التي ارسلها للباي يقول فيها ان الناس يطالبون برفع المظالم ونهي البغاة والعمال الذين ايديهم وانه سوف يستمر الى ان تخفف الدولة من الضرائب الت اثقلت كواهلهم .

وتحولت الثروة الى ثورة مسلحة حيث استطاع الثوار من شراء السلاح و التدرب عليه والاستعداد للمعركة [1]

---

[1] رابحة محمد خيضر ، لمى عبد العزيز مصطفى : التجربة الاصلاحية في تونس في عهد محمد الصادق باي 1881.1859م ، كلية الادب، قسم التاريخ ، جامعة الموصل ،ص 500.

[2] الصادق الزمولي : مصدر سابق ، ص 99.

ينظر الى الملحق رقم 8، ص79.

[4] واسلفنا الذكر ان التجهيزات الحربية التي قام بها المشير احمد باي حتمت على الحكومة مكوس جديدة فلم تولى محمد باي قام بفرض ضريبة تعرف بالمجبي وقدره 36 ريال يدفعها كل سنة الرجال القادرين من سكان المملكة وتبطل عند تحسن الحالة المادية لبلاد ، للمزيد ينظر حسن حسيني عبد الوهاب : مرجع سابق ، ص 171.

[5] خليفة الشاطر : تونس عبر التاريخ ، ج3 ، مرجع سابق ص14.

[6] خليفة الشاطر واخرون : مرجع سابق ، 14.

[7] حسن حسني عبد الوهاب : مرجع سابق ، ص 175.174

[8] ينضر الى الملحق رقم 9، ص 80.

وقد جاهر اهالي المملكة التونسية بالعصيان و الامتناع من اداء المجي [2] ولقب بباي الشعب [3]بحيث كانت الدولة غارقة في الديون 1864م[4]. ولتلك الاسباب اندلعت الثورات في البلاد بد فترة من الهدوء والتي بلغت ذروتها واشتعلت البلاد بتمامها وكماها وجلتها تقف ضد الباي وسياسته الجبائية واصلاحاته كاملة [5].

مشاركة الجيش في الثورة :

اندلعت هذه الثورة اساسا من المناطق الريفية القبلية وفي الشمال اغربي والوسط لكنها سرعان ما تميزت بالسرعة والشمولية وامتدت الى كامل المدن والقرى عدى العاصمة ، وشملت اغلب الطبقات الاجتماعية وقد سميت بثورة القبائل وثورة العروش ، وكانت ثورة عارمة وتجلت في مطالب سياسية واقتصادية لثوار ، وكانت ضريبة المجي السبب الذي انتظره الناس طويلا لتصبح السبب المباشر لإبراز الغضب المنحبس في النفوس [6]

ويبرز لنا في هذا الصدد ان تقارير امير الامراء رستم في المحلة التي كانت تطارد فلول ابن غداهم وذلك عندما سأله مصطفى خزندار عن احوال العروش وما يدور بخواطرها اتجاه الدولة ، فأجابه رستم بكل وضوح قائلا له : اني لاعتقد ان يوجد فيهم صديق لدولة ، ظاهرا ، او باطنا، غير افراد قلائل خدام الدولة ،والذي تبين لي ان الناس اربعة اقسام : قسم اصدقاء ، وقسم منافقون يظهرون الطاعة لدولة وقلوبهم مع المفسد وقسم مذبذب لم يميلوا لاتجاه من الاتجاهات [7]

وكان للجنود الاثر الكبير في الثورة حيث تسارعوا في مدن الساحل وقراه وصفاقس بالانضمام الى الثورة وكأنهم كانوا ينتظرونها ، واضافوا بذلك عنصرا جديدا كان له تأثير على سيرة الاحداث والواقع ان المؤرخين لم يعطوا هذا الجانب الاهمية الكبير ، حيث لم يتعدى ذكرهم له الا تلميح ، وما اثبته

---

[1] شوقي عطاالله الجمل : المغرب العربي الكبير ، مرجع سابق، ص 294.

[2] التونسي محمد بيرم، صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار،ط1،دار صادر، بيروت،.1885م ، ص 69.

[3] خليفة الشاطر : مرجع سابق ، ص 14.

[4] الشيباني بنبلغيث :الجيش التونسي في عهد محمد الصادق ، ص74.

[5] محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع:
محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط ،3دار سراس للنشر والتوزيع، تونس، 1993م ، ص 98.

[6] الشيباني بنبلغيث : الجيش التونسي ، ص 189.

[7] الشيباني بنبلغيث : الجيش التونسي ، مرجع سابق ،189.

وثائق الثورة وخاصة وثائق احمد زروق ، وبعد انتصارها في الساحل يبرز ان الجيش لعب دورا مهما في قيادة الثورة بالساحل .

بحيث ان الجنود الذين فرو ورفضوا الاستجابة لنداء الباي يمثلون دعامة الثورة في الساحل ورغم قلة الاحصائيات فإن لجنود لعبوا دورا هاما في الثورة وكان دورهم قيادي ومحركا جوهريا لثورة [1]

مطالب الثورة :

في حين شعر الباي بعجز عن وقف الثورة فاضطر لرضوخ لبعض مطالب الثورة الخاصة بإعادة الضراب الى ما كانت عليه ولاكن ليس من السهل قمع الثورة فأصبحوا يطالبون بمراجعة نظام الضرائب كله ، ثم طالبو بعزل العمال ومحاسبته عما اقترفوه في حق الاهالي ، وتطرو الامر الى المطالبة بتعديل النظام القضائي لما فيه من ارهاق لرعية بل طالبو بتعديل الدستور فكان شعار الثورة كفانا مجبي ومماليك ودستور[2] .

وهذا يظهر ان الثورة واضحة المطالب ودوافعها سياسية واقتصادية وكانت موجة شارك فها جميع اطراف الشعب الذي كان يعاني من المظالم [3]

وسقطت تونس في حالة من الخراب والدمار والفوضى ، قضت بتعطيل الدستور وتوقف عمل المجالس البلدية ودخلت البلاد في حرب اهلية تسببت في مجاعات وامراض خطيرة[4]

فقد ساهم القمع الذي صاحب الثورة في زيادة تخريب جزء كبير من البلاد وخاصتا منطقة الساحل مصدر انتاج الزيت[5]

واستطاعت الدولة ان تحدث الفرقة بين الثوار ، وان توقع بهم الهزيمة وتضطر زعيمهم علي بن غداهم على الاستسلام وزج به في السجن رخم منحه الامان وبقي فيه الى ان وفاه اجله في زنزانته في حلق الوادي في 11 اكتوبر 1867م ، ورغم ذلك فان الثورة تركت اثرا عميق في تاريخ تونس [1]

---

[1] نفسه : ص90

[2] شوقي عطاالله الجمل : مرجع سابق ، ص 121.

[3] شوقي عطاالله الجمل : مرجع سابق ، 121ص.

[4] الطاهر عبد الله : الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة ، ط2 ، دار المعارف ، سوسة ، تونس ،ص22.

[5] محمد الهادي الشريف : مصدر سابق ، ص 98.

المبحث الثالث : الحماية الفرنسية على تونس .

كانت اوضاع تونس قبل الحماية سانحة لبسط النفوذ الفرنسي علها وذلك بسبب الضعف الذي تعرضت له ، وخاصتا بايات تونس الذين كانوا ضعفاء الشخصية والتابين لدول الاوربية بريطانيا وفرنسا وايطاليا لبسط نفوذها على تونس وخاصتا فرنسا التي كانت قريبة من تونس بحكم وجودها في الجزائر [2] فاذا استثنينا ايطاليا فانا باقي الدول الاوربية اصبحت منذ 1878م لا ترى مانعا من التدخل الفرنسي على تونس [3] ، وبلورة هاته الفكرة في مؤتمر برلين المنعقد 1878م بحيث رغبت فرنسا بتثبيت الاوضاع السائدة في منطقة البحر الابيض المتوسط ، ولم تكن فرنسا على علم مسبق بالاتفاق الانجليزي التركي حول قبرص ومسالة الحماية الانجليزية عليها وبالمقابل ستدخل قضية الابتزاز السياسي بحيث يسكت الفرنسيين على النفوذ البريطاني داخل قبرص والحوض الشرقي مقابل سكوت بريطانيا عن النفوذ الفرنسي في الجزائر وسائر الحوض الغربي للمتوسط [4]

بحيث استطاعت فرنسا من خلال هذا المؤتمر من كسب المساندات البريطانية والالمانية لمخطط الاحتلال [5]باستثناء ايطاليا ، وذلك كمن خلال مؤتمر برلين المنعقد من 13 جوان الى 13 جولية 1878.م حيث شجعت كل من المانيا وانجلترا فرنسا على بسط نفوذها بتونس [6]

وكانت هاته الدول تشجع فرنسا على فسل تونس عن الدولة العثمانية وان كانت في الحقيقة تونس لا تربطها معها الا روابط روحية [7] فكان لتخلي بريطانيا على النفوذ في تونس هدف ، وقد صرح

---

[1] شوقي عطاالله الجمل : مرجع سابق ، ص 294.

[2] اسماء قسطالي ، فاطمة الزهراء بوزيان : النضال السياسي والنقابي في تونس 1946.1956م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، في الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي ، قسم التاريخ ،جامعة الجيلالي بونعامة ، خمس مليانة ،2016.2017م ، ص10.

[3] عاطف عيد : قصة وتاريخ الحضارات العربية ، ص 64.

[4] قدادرة شايب : الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري 1934.1954م. دراسة مقارنة ، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه ، في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، قسم التاريخ وعلم الاثار ، 2006.2007م.ص 43.

[5] محمد علي داهش : دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي ، دار الاتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، 2004، ص 43 .

[6] علي المحجوبي : انتصاب الحماية ، ص 35.

[7] الحبيب تامر :مرجع سابق. ص25.

وزير الخارجية البريطاني اللورد روبرت سيل سالسبوري ، لنضيره الفرنسي وليام هنري " انه لا يعارض فرنسا اذا ارادت الاستلاء على تونس" [1] وقد قال " احتلوا تونس ان شئتم فإنجلترا لا تمانع في ذلك بل تحترم قراراتكم "[2].ثم اضاف في مقابلة اخرى مع زميله الفرنسي قائلا " وفضلا ن جمع الاعتبارات الاخرى فانه يتحتم علكم الا تتركوا قرطاجة بين ايدي شعب متخلف "[3] ووجدت الفرنسية الدعم نفسه من المانيا بحيث شجعت المقترح [4]، اذ ايد بسمارك المقترح البريطاني المتعلق بتونس راما من رواء ذلك الى منع تعويضات لفرنسا لصرف النضر عن مقاطعتي الالزاس وللورين التي ضمتهما المانيا سنة 1870م ، واكد بسمارك ذلك في 1879 م في حديث له مع سفير فرنسا ببرلين ذكر فيه " اني اعتقد بان الاجاصة التونسية قد نضجت وان لكم ان تقطفوها " وهكذا يمكن القول ان فرنسا صارت لها كل الحرية لتصرف في تونس [5] ،وخرجت فرنسا من المؤتمر بشبه نجاح سياسي يقوم بإعطائها تونس كهدية ثمينة وراحت تعتمل على تسويق مشروع الحماية دون الحاجة لخلق متاعب داخلية او خارجية ، محاولة تجنب التدخل العسكري لكي لا تدفع فاتورة في جنودها وضباطها [6]

وبعد مؤتمر برلين تهيات الظروف لفرنسا لتضرب ضربتها [7] ولم تجد فرنسا صعوبة في تعليل احتلاها لتونس كما وجدتها في الجزائر [8] بحيث مهدت لاحتلالها على تونس واستغلت الموقف الدولي بعد مؤتمر برلين واصبحت تبحث عن الدوافع [9] .

---

[1] امال سوسي: العلاقات التونسية الفرنسية 1830.1881م .مذكرة لنيل الماستر ، في التاريخ العربي الحديث ، قسم التاريخ ، جامعة غرداية ، 2018.2019، ص18.

[2] علي المحجوبي : العالم الربي الحديث والمعصر ، مرجع سابق ، ص46.

[3] علي المحجوبي :العالم العربي الحديث والمعاصر ، ص 46.

[4] امال سوسي : مرجع سابق ص18.

[5] علي المحجوبي : العالم العربي الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ، 46.

[6] عاطف عيد ، مرجع سابق ، ص64.65.

[7] شوقي عطاالله الجمل : المغرب العربي ، مرجع سابق، ص126.

[8] عبد الكريم غلاب : مرجع سابق ، ج3، ص 93.

[9] شوقي عطاالله الجمل : المغرب العربي ، مرجع سابق ، ص 126.127.

وفي سنة 1881 اتخذت من انتقال بعض القبائل التونسية نحو الحدود الجزائرية ذريعة [1] ، وحدث اشتباك [2] بين سكان الحدود [3]، مما اعطى فرنسا الحجة لتدخل في الشؤون التونسية [4]

وكانت تلك المناوشات ليومي 30و 31 مارس 1881م بين قبائل بني خمير وجنود فرنسيين ، واستغلت فرنسا الموقف للحصول على المصادقة من البرلمان الفرنسي في7 افريل على اعتمادات عسكرية قدمها جول فيري على انها تدخل امني [5]

وعلاوة على كل ذلك فقد اعتبر الراي العام الفرنسي وعدد كبير من رجال السياسة تاييد باسمارك للتدخل الفرنسي في تونس مناورة يقصد بها المستشار الالماني تعكير العلاقات لإيطالية وعزل فرنسا عن الصعيد الاوربي ، وقد كان الشعب يعارض كل سياسة تعرض امن فرنسا الى الخطر [6]

وكانت حكومة الجمهورية واعية بذلك تماما وهو ما نلمسه في هذه عبارات اسر بها جول فيري ، ان وزير الشؤون الخارجية عند خروجه من الاجتماع لمجلس الوزراء في 29جانفي 1881م " تريد ان نرسل قوة عسكرية الاحتلال تونس ونحن قادمون على انتخابات في هذه السنة انسيت ذلك ياعزيزي " ومن المعلوم ان وزير الشؤون الخارجية الفرنسية كان قد طلب من الحكومة التدخل بكل حزم في تونس [7]

وتعتبر تونس اول تجربة لنظام الحماية في تاريخ ها الاستعماري ، وقد استهدف جول فيري مبتدع هذا النظام امرين

اولاهما : هو اسكات المعارضة الدولية بحجة انها لن تقضي على كيان الدولة المحمية

والثاني : هو اقناع المعرضة الداخلية بان الحكومة لن تتورط في اعباء المالية ، لانه من مميزات هذا النظام انه يحمل الدولة المحمية نفقات الاحتلال وما يترتب عنه من اصلاحات جديدة التي تدخلها

---

[1] محمد علي داهش : مرجع سابق. ص 43.

[2] محمد عصفور سليمان : الحماية الفرنسية على تونس عام 1881م والموقف الاوربي والعثماني منها ، مجلة دايلي ، العدد56. 2012، ص 4.

[3] .عبد الكريم غلاب : مرجع سابق ، ج 3، ص 39.

[4] محمد عصفور سليمان : مرجع سابق ، ص 4.

[5] خليفة الشاطر واخرون : مرجع سابق ، ج3، ص23.

[6] على المحجوبي : انتصاب الحماية ، ص 56.

[7] قدادرة شايب : مرجع سابق ، ص 45.

الدولة الحامية [1] اخذت فرنسا تخلق الذرائع لاحتلال تونس فكانت المشاكل الحدودية التونسية الجزائرية ،هي التي اعطت الحجة لفرنسا لحشد قواتها العسكرية [2]، وفي سنة 1881م دخلت فرنسا البلاد عسكريا [3]،

وهجم الجيش الفرنسي برا من المستعمرة الجزائرية وشرع في احتلال البلاد التونسية منذ 24 افريل 1881م[4] متجها نحوا العاصمة تونس [5]، وقد احتلوا الكاف وطبرقة بدون مقاومة ،كما انزلت فرنسا بعض قواتها التي ابحرت من مناء طولون وبعد احتلاهم لها تقدموا نحوا العاصمة [6] ، وقد كانت العساكر الفرنسية التي احتلت مدينة الكاف في 26 افريل تظم كتيبة فرنسية 35.000 الف رجل من الجزائر بقيادة الجنرال لوجيرو logerot وسوق الاربعاء في 29 افريل وعين دراهم 11ماي وفي نفس الوقت طبرقة 26 افريل بعد ان قصفتها بالقنابل ، وفي1ماي استسلمت بدينة بنزرت بدون ادنى مقاومة وفي يوم 8ماي زحف الجنرال برابيار نحو مدينة تونس [7]

وما ان مضى شهر حتى اصبحت القوات الفرنسية محتلة معظم المواقع والمد الرئيسة في تونس معلنة بذلك انهاء استقلال البلاد التونسية ولم يبقى سوى امضاء المعاهدة [8] وفي 12 ماي 1881 وصلت القوات الفرنسية الى بلدة منوبة ، وحوصر الباي في قصر الباردو ولم يترك له الوقت لنظر فيها او الاستشارة ، يل اجبر على امضائها [9]وقد اعترف محمد الصادق باي بالحماية على البلاد التونسية [10]

---

[1] نفسه : ص 47.

[2] حسيبة طيبوني ، نور الهدى زوبة : تطور الحركة الوطنية التونسية ودورها في مواجهة الحماية الفرنسية 1904.1919م /، مذكرة لنيل شهادة ماستر ، في الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي ، قسم العلوم الانسانية ، جامعة خميس مليانة ، 2014.2015.، ص6

3 نفسه : ص7

4 ينظر الى الملحق رقم 10، ص81.

[5] خليفة الشاطر واخرون : مرجع سابق ، ص 23.

[6] شوقي عطاالله الجمل : المغرب العربي الكبير ، مرجع سابق ، ص30.

[7] علي المحجوبي : انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ،مرجع سابق ، ص44.

[8] لمياء خيثر ، وسام خيثر : فرحات حشاد ودوره في الكفاح ضد الحماية الفرنسية على تونس ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ،في الضاهرو الاستعمارية في الوطن العربي ، قسم العلوم الانسانية ، شعبة التاريخ ، جامعة الجيلالي بونعامة ، خميس مليانة ، 2016.2017م ، ص6.

[9] الحبيب تامر : مرجع سابق ، ص 27.

[10] حسن حسني عبد الوهاب : مرجع سابق ، ص178.

وكان الباي مضطر لرضوخ لا مر الواقع وخاصة انه في حالة الرفض كان اخوه مستعدا لتوقيع معاهدة الحماية [1] [2]

بحيث توجه الجنرال بريبار برفقة القنصل الفرنسي في تونس تيدور روستان [3] لمقابلة الباي [4] وقدم له نسختين من المعاهدة الفرسية التونسية مجهزة مسبقا ، وامهله خمس ساعات لقبولها او رفضها وبعد ساعتين وتحديدا الثامنة مساءا وقع الباي معاهدة الباردو [5] ونتج عن هذا رد فعل من طرف الشعب . وبدا الكفاح المسلح [6] عند توقيع معاهدة الباردو [7]

وقانت ثورة في جنوبي تونس ضد الوضع الجديد اخمدها الفرنسيون بسهولة وفرضوا معاهدة المرسى [8]، فكان اخضاع تونس تحت الادارة الفرنسية تدرجيا بعد استكمال السيطرة العسكرية على كامل البلاد وبد وفاة محمد الصادق اعتمدت الادارة الفرنسية على ما عرف باتفاقية المرسى ،التي عقدت في 8 [9] جوان 1883م المفروضة على علي باي (1882.1902م) وقانت هاته الاتفاقية وفق الاطار القانوني ، الذي لم يتوفر ضمن معاهدة الباردو والذي تحتاجه فرنسا لكي تدير شؤون البلاد الداخلية كما تشاء [10]، كما كانت هناك العديد من المقاومات لكن اغلبها فشل بسبب نقس السلاح وبسبب الطبيعة التي لم تساهم في حماية المجاهدين [11]

---

[1] ينضر الى الملحق رقم 11، ص 82-83.

[2] خليفة الشاطر واخرون : مرجع سابق ،ص23.

[3] ينظر الى الملحق رقم 12، ص84.

[4] ينضر الى الملحق رقم 13، ص85.

[5] امال سوسي : مرجع سابق ، ص20.19.

[6] ينظر الى الملحق رقم 14،ص86.

[7] شفيقة بلخيرة، سعدية بن عزة : التاريخ الاستقلالي في الجزائر وقضايا التحرر في المغرب العربي 1926.1954م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، في تاريخ حديث ومعاصر ، الجيلالي بونعامة ،خميس مليانة 2015.2016م ، ص13.

[8] اسماعيل احمد ياغي : تاريخ العالم العربي الحديث ، مرجع سابق ، ص351.

[9] ينضر الى الملحق رقم15، ص87-88.

[10] خليفة الشاطر واخرون : مرجع سابق ، ص23.

[11] اسماء قسطالي ، فاطمة الزهراء بوزيان :مرجع سابق ، ص12.11

اما المقاومة المسلحة فقد تواصلت حلقاتها المتفرقة زمنينا وماجلينا الى ان تكثفت من جديد في منتصف القرن العشرين [1] الى الحصول على الاستقلال [2]

خاتمة الفصل :

نستنتج مما تم تقديمه في الفصل الثالث ان فترة محمد الصادق باي وخير الدين باشا عرفت عدت احداث مهمة ومتضاربة فيما بينها ،.

* فنجد ان محمد الصادق باي كان في بداية حكمه يسعى الى الاصلاح والتطوير لكنه لم يتمكن من ذلك لعدت اسباب .

* ضعف شخصية الباي .

* انقياده وراء وزيره مصطفى خزندار .

* انشغاله باللهو والترف واموره الشخصية وترك الحكم لحاشيته من المفسدين .

* رغم ذلك كان له اجانب ايجابي في فترة حكمه بحيث حاو الاصلاح بحيث سن الدستور 1961م وهو اكبر خطوة اصلاحية والاهتمام بتطوير البلاد .

اما بالنسبة لخير الدين التونسي فالمتعارف عليه انه من اشهر الشخصيات الاصلاحية في تونس : فحاول تنظيم الادارة والتعليم والصحة والزراعة وكذلك السياسة ،ولم يتمكن من فرض اصلاحاته بسبب عرقلة الخزندار له ولإعماله .

– ورغم كل ما قدمه خير الدين التونسي والاصلاحات التي قام به الاثنان كانت بمثابة فترة التي تسبق العاصفة وانفجرت الثورة بالبلاد بسبب مضاعفة المجبي وعمت الفوضى .

–ونتج عنها حلة مالية اكثر تدهورا وانتشار الامراض والاوبئة والمجاعات .

*بحيث اصبحت البلاد محطة للانضار وهذا ما يظهر في مؤتمر برلين بحيث تسرح فرنسا برغبتها في احتلال تونس .

*وفي الاخير ونتيجة لتسلسل الاحداث وقعت تونس تحت الحماية الفرنسية سنة 1881م

[1] خلفة الشاطر واخرون : مرجع سابق ، ص 27.

[2] عاطف عيد : مرجع سابق ، ص 76.

خـــاتمة

نختم موضوعنا هذا والمتمثل في الازمة المالية بتونس الى غاية الحماية الفرنسية 1881م ،بمجموعة من النقاط التي تمثل نتائج البحث ، وذلك ليتمكن القارئ بالخروج بأفكار ثمينة ومفيدة شاملة عن الموضوع

– بحيث يمكن استخلاص مما سبق ان دخول تونس تحت لواء الباب العالي للحفاظ على امنها وامن حدودها من التحرشات الاسبانية في الشمال والسواحل التونسية بالتحديد.

– وبعد فترة زمنية اصبح بايات تونس يحاولون الاستقلال عن الباب العالي من الجانب السياسي، ومع هاته الرغبة تطور الامر الى ربط علاقات صداقة وعلاقات اقتصادية دون الرجوع للباب العالي وبقيت علاقة روحية فقط بتقديم الهدايا والخطبة باسم السلطان العثماني في المساجد .

– خلقت هاته العلاقات الودية روابط اقتصادية كبيرة نتج عنها امتيازات متعددة ، استغلت من طرف الشركات الاحتكارية الاوربية ، لتصرف فائض الانتاج على حساب الاقتصاد التونسي المحلي .

– وترتب على تلك الامتيازات نزوح اعداد كبيرة من الجاليات الاوربية ، واستغلالها لثروات البلاد ونهبها .

– ومزاد الطين بلة محاولة الحكام التونسيين ادخال اصلاحات وتغييرات على البلاد بما يساير متطلبات العصر دون مراعات الجانب المالي منها او جانب الانتاج والفائدة التي تعود بها تلك الإصلاحات على البلاد او العباد .

– وقوع البلاد في ازمة مالية نتيجة عدم الدراسة والتخطيط الجيد للمشاريع التي لم تكن ذات قيمة او ربح للخزينة .

– استغلال الشخصيات الفاسدة في البلاط للوضع وسرقة اموال الدولة امثال مصطفى خزنه دار وابن عياد .

- ظهور شخصية خير الدين التونسي بمحاولتها الاصلاحية لانعاش الخزينة لكنها فشلت بسبب حاشية الملك الفاسدة .

- الزيادات في الضرائب المجحفة في حق السكان مما ادى الى ردت فعل عنيفة من طرف السكان الرافضين لها ، وتمثلت في ثورة علي بن غداهم 1864م ، وانتهائها بإعادة الضرائب الى مكانة عليه وقمع الثورة وسجن قائدها .

- بعدها عانى الشعب من الامراض والاوبئة والفقر بسبب سياسة البايات الفاشلة ، فافقد ت تللك التصرفات الثقة بين الحاكم والرعية مما جعل تونس فريسة سهلة لكل الحاقدين عليها .

- وانضرا عن تلك الاوضاع تنافس حاد بين الدول الاستعمارية على منطقة تونس ، وتجلى ذلك في مؤتمر برلين .

- وخرجت فرنيا بشبه انتصار ، وحصولها على الموافقة الدولية للخوض في هاذه المغامرة .

- ولم يتبقى على فرنسا الا البحث عن الذرائع والمسوغات التي تمكنها من الدخول ،وتحقق ذلك بحدوث مناوشات حدودية بين قبائل تونسية وجزائرية ، فاستغلت فرنسا الموقف بحجة الحفاض على الامن بالمنطقة ، وتأديب القبائل المتمردة .

- واخيرا اجبر الباي على التوقيع على معاهدة الباردو 1881م، والحاقها بمعاهدة المرسي 1883م وبذلك تم القضاء التام على استقلال تونس .

الملاحق

الملحق رقم 1: يمثل خارطة تونس

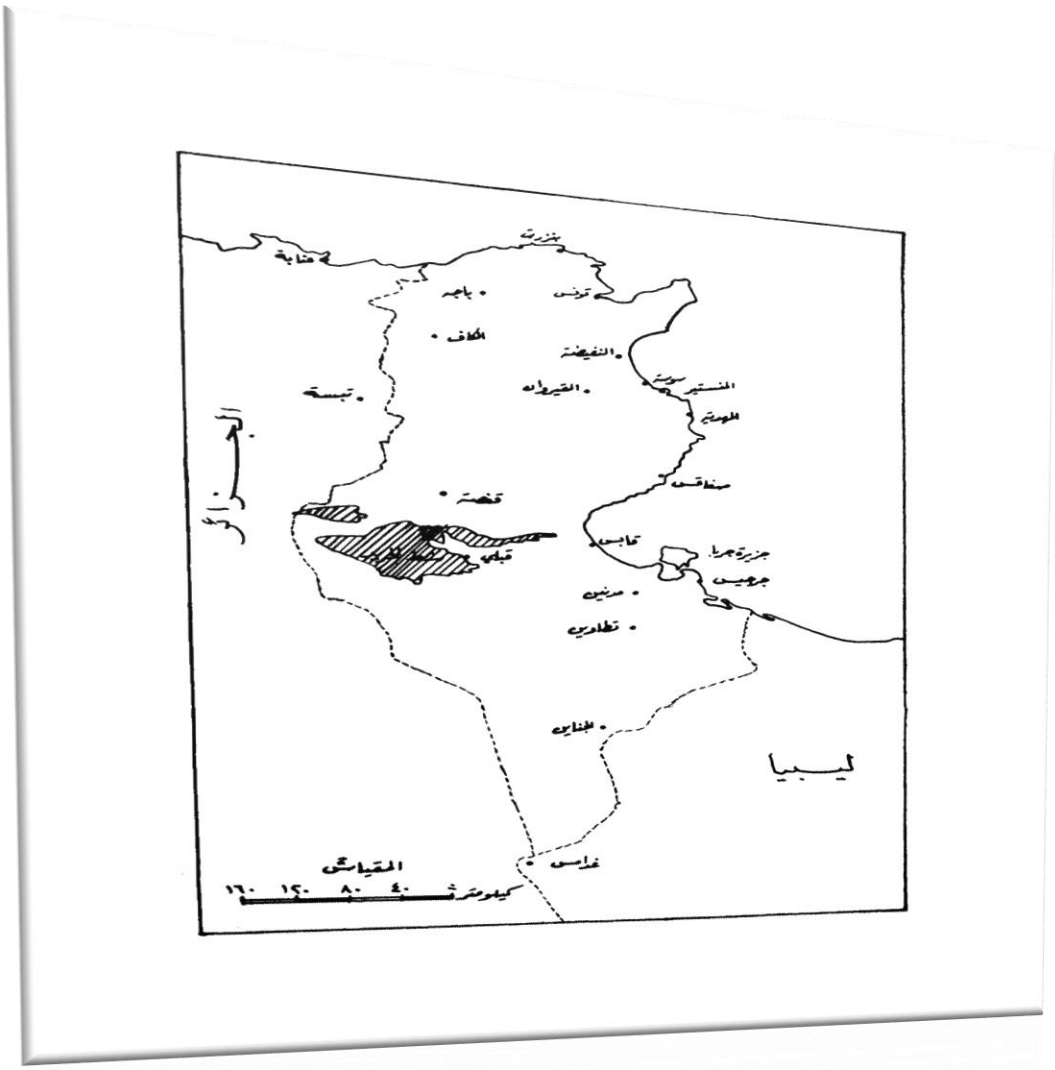

التاريخ الاسلامي ج 14 ص120.

الملحق رقم 2 : هيكل يمثل الاسرة الحسينية .

الأسرة الحسينية :

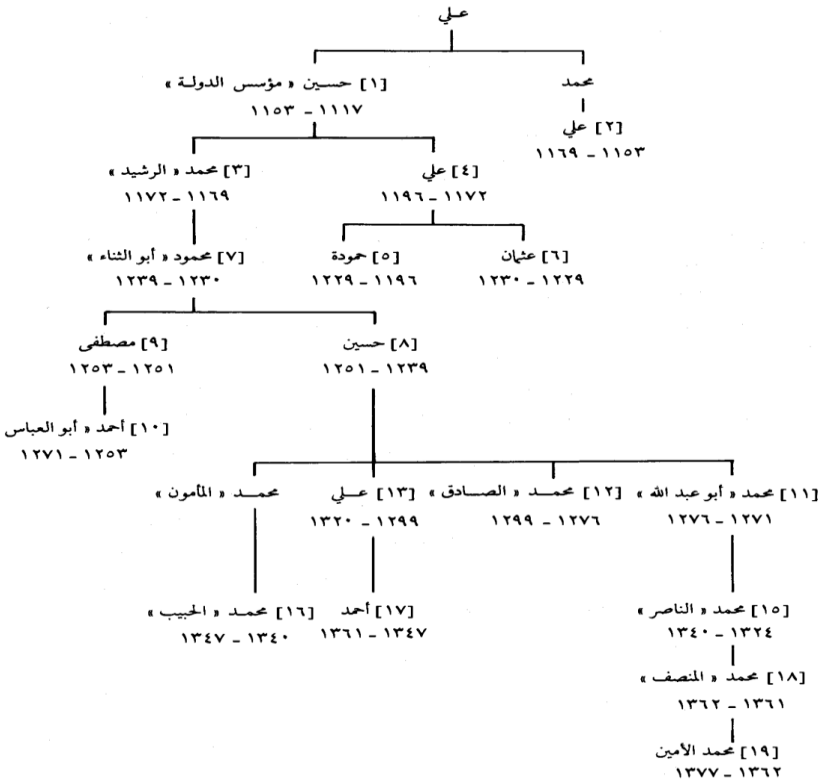

١٤١

التاريخ الاسلامي ج 14 ص 141.

الملحق رقم 3 : دستور عهد الامان . ابن ابي الضياف : مصدر سابق ، ج4، ص 242

الاولى : تأكيد الامان ، لسائر رعيتنا وسكان ايالتنا على اختلاف الاديان ، والالسنة والالوان ، في ابداتهم المكرّمة ، واموالهم المحرّمة ، وأعراضهم المحترمة ، الا بحق يوجبه نظر المجلس بالمشورة ويرفعه إلينا ، ولنا النظر في الإمضاء او التخفيف ما أمكن او الإذن باعادة النظر .

الثانية : تساوي الناس في اصل قانون الاداء المرتب او ما يترتب ، وان اختلف باختلاف الكمية ، بحيث لا يسقط القانون عن العظيم لعظمته ، ولا يحط على الحقير لحقارته ، ويأتي بيانه موضحا .

الثالثة : التسوية بين المسلم وغيره من سكان الإيالة في استحقاق الإنصاف ، لان استحقاقه لذلك بوصف الانسانية لا بغيره من الاوصاف . والعدل في الارض هو الميزان المستوي ، يؤخذ به للمُحِقّ من المبطل وللضعيف من القوي .

الرابعة : ان الذمّي من رعيتنا لا يُجبَر على تبديل دينه ولا يمنع من إجراء ما يلزم ديانته ، ولا تُمتَهَن مجامعهم ويكون لها الامان من الاذاية والامتهان ، لان ذمّتهم تقتضي أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

الخامسة : لما كان العسكر من أسباب حفظ النوع ، ومصلحتُه تعمّ المجموع ، ولا بدّ للانسان من زمن لتدبير عيشه والقيام على أهله ، فلا نأخذ العسكر الا بترتيب وقرعة ، ولا يبقى العسكري في الخدمة اكثر من مدة معلومة ، كما نحرره في قانون العسكر .

تابع للملحق رقم 3 : دستور عهد الامان .

السادسة : ان مجلس النظر في الجنايات ، اذا كان الحكم فيه بعقوبة على أحد من أهل الذمة ، يلزم ان يحضره من نعيّنه من كبرائهم ، تأنيسا لنفوسهم ودفعا لما يتوقعونه من الحيف ، والشريعة توصي بهم خيرا .

السابعة : ان نجعل مجلسا للتجارة برئيس وكاتب وأعضاء من المسلمين وغيرهم من رعايا احبابنا الدول للنظر في توازل التجارات ، بعد الاتفاق مع احبابنا الدول العظام في كيفية دخول رعاياهم تحت حكم المجلس ، كما يأتي ايضاح تفصيله ، قطعا لتشعب الخصام .

الثامنة : ان سائر رعيتنا من المسلمين وغيرهم ، لهم المساواة في الامور العرفية والقوانين الحكمية ، لا فضل لاحدهم على الآخر في ذلك .

التاسعة : تسريح المتجر من اختصاص أحد به ، بل يكون مباحا لكل أحد . ولا تتاجر الدولة بتجارة ولا تمنع غيرها منها . وتكون العناية باعانة عموم المتجر ومنع اسباب تعطيله .

العاشرة : ان الوافدين على ايالتنا لهم ان يحترفوا سائر الصنائع والخدم ، بشرط ان يتبعوا القوانين المرتبة والتي يمكن ان تترتب ، مثل سائر اهل البلاد لا فضل لاحدهم على الآخر ، بعد انفصالنا مع دولهم في كيفية دخولهم تحت ذلك ، كما يأتي بيانه .

الحادية عشرة : ان الوافدين على ايالتنا من سائر اتباع الدول لهم ان يشتروا سائر ما يملك من الدور والاجنة والارضين ، مثل سائر اهل البلاد ، بشرط ان يتبعوا القوانين المرتبة والتي تترتب من غير امتناع ، ولا فرق في أدنى شيء من قوانين البلاد . ونبين بعد هذا كيفية السكنى ، بحيث ان المالك يكون عالما بذلك ، داخلا على اعتباره ، بعد الاتفاق مع احبابنا الدول .

ابن ابي الضياف : مصدر سابق مجاد 2، ج4 ، ص243.

الملحق رقم 4 : صورة محمد الصادق باي .

محمّد الصادق باشا باي

(ولد سنة 1814م. وحكم من سنة 1859 م إلى سنة 1882 م)

114

صفوة الاعتبار، مصدر سابق، ص114.

الملحق رقم5 : خير الدين التونسي .

[خير الدين باشا الوزير الأكبر (1873)]

125

الحبيب تامر، هذه تونس، ص125.

الملحق رقم6: يمثل صورة للمدرسة الصادقية .

المدرسة الصادقية

صفوة الاعتبار، مصدر سابق، ص318.

الملحق رقم 7 : ضريبة المجبي .

مضاعفـــة «المجبـــى»

1) مجلس الباي ينظر في رفع الجباية

« ثمّ جمع الباي رجال مجلسه الخاص وتكلّموا في شأن زيادة الدخل مرارا عديدة، مع الإعراض عن (...) تنقيص المصروف كلّ الإعراض، ومن حام حوله رشقته سهام الاعتراض، حتّى قال أمير الأمراء أبو عبد الله حسين رئيس المجلس البلدي، وهو من أفراد المجلس الخاص، بلسان فصيح : *يا سيّدي إنّ هذه المملكة لا قدرة لها على احتمال شيء زائد، وهي من الموجود الآن في خطر، فحالها كحال البقرة إذا حُلب ضرعها حتى خرج الدم، فهي الآن (...) ينزو ضرعها بالدم، وولدها بمضيعة، والعطب أقرب إليها من السلامة.*»

وذلك أنّ هذا المجلس الخاص مختلف الإنظار، (...) ومنهم من يرى أنّ الرعية لاسيما العربان، في ثروة وغنى، لقلّة ما يلزمهم من مصارف الحواضر، (...) ومنهم من يرى أنّ العربان إذا كثر مالهم ساء حالهم، وفي ثقل الجباية خضد لشوكتهم وكبح لهم عن العصيان (...)».

2) قرار مضاعفة «المجبى» أو«الإعانة»

«ولم يزل الباي مع مجلسه يتحاورون في هذا الامر العظيم والمرتقى الصعب، إلى أن قال بعض من يشار إليه في هذا المجلس (...) «إنّ الرأي سهل، وهو أن مال الإعانة يزاد عليه مثله، ويكون عاما في سائر بلدان المملكة، من غير استثناء ولا اعتبار لحال الدافع» وهذه الكلمة تلقفها من رئيس اليهود والقبّاض، نسّيم بيشي. ولما تمّ مقاله قابله الباي بالاستحسان ودعا له بتكثير أمثاله في الأعيان، فوجم الحاضرون لهذه النتيجة التي هي ضدّ لجميع ما خاضوا فيه (...) حتّى اضطرّ خير الدّين إلى أن قال للباي بالمجلس : *يا سيّدي، إن أخفيت ما ظهر لي في نصح سيّدي وبلادي أكون خائنا لأمانة الاستشارة، أرى أنّ هذه الزيادة في مال الإعانة تؤدّي إلى زوالها بالمرّة، أو تلجئ إلى مال أكثر منها لتجهيز الجيوش لغصب النّاس، ولا نجد في السنة التي بعدها ما يقرب الإعانة الأولى، هذا باعتبار القدرة على الغصب*».

أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان،
الجزء الخامس، الصفحات : 128 و129 و130.

خليفة الشاطر، مصدر سابق، ص13.

الملحق رقم8. صورة تمثل سر وانتشار الثورة 1864م.

اشتدّت الأزمة السياسية بالبلاد عند القطيعة بين البيليك والرعيّة واستحكام العنف. وتوجّهت المحلات لإخماد الانتفاضة بالشمال والوسط الغربي ثمّ السواحل الوسطى وانتقمت من المنتفضين بشدّة.

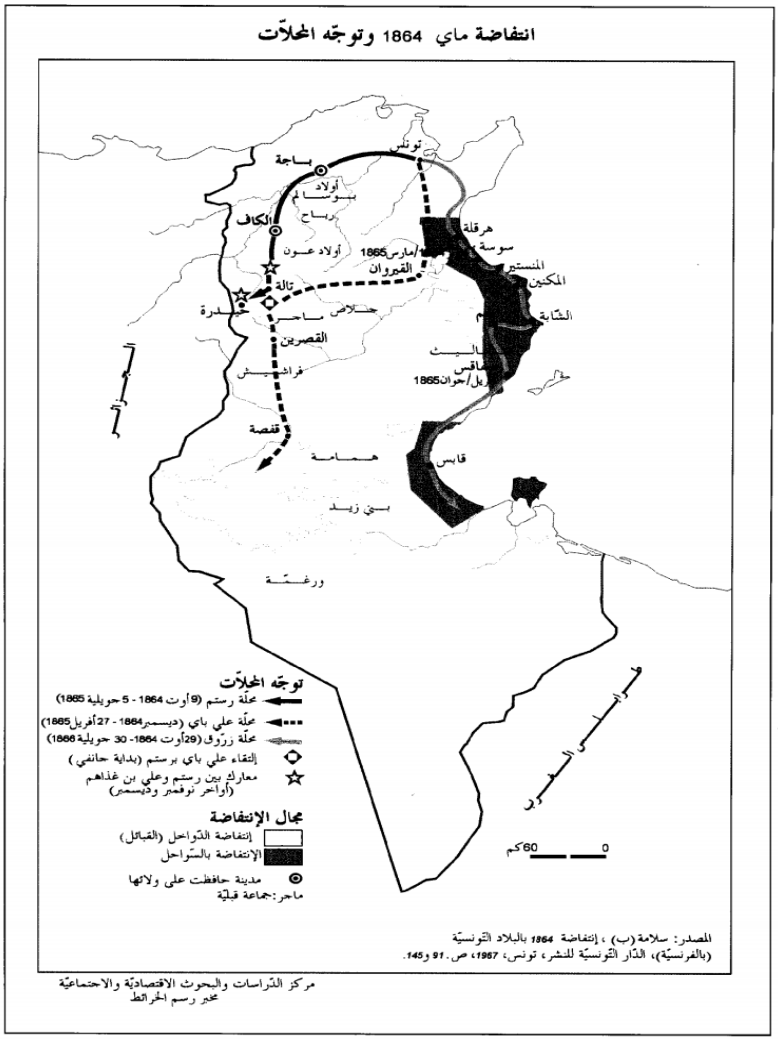

المصدر: سلامة (ب) ، إنتفاضة 1864 بالبلاد التونسيّة (بالفرنسيّة)، الدّار التونسيّة للنشر، تونس، 1967، ص. 91 و145.

مركز الدّراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة
عبر رسم الخرائط

مرجع سابق، خليفة الشاطر ،ص15.

الملحق رقم 9: صورة علي بن غداهم .

ليلى بلحاج عبير حابي /، الازمة المالية بتونس وانعكاساتها على الوضع السياسي 1859–1883م. مذكرة لنيل شهادة الماستر ،.2015–2016. ص.100.

الملحق رقم10: يمثل تحركات الاحتلال الفرنسي لتونس

تحرّكات قوات الاحتلال (1881 – 1882)

خليفة الشاطر مرجع سابق ، ص15.

الملحق رقم 11: معاهدة الباردو

نص معاهدة باردو

المنعقدة فى ١٢ مايو سنة ١٨٨١

إن دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو باى تونس — لما كان من غرضهما أن يمنعا إلى الأبد حدوث قلائل ، كالتى حصلت أخيراً على حدود الدولتين وبسواحل المملكة التونسية ، وأن يحكما علاقات ودادهما القديم وروابط حسن الجوار — قد اتفقتا على عقد معاهدة من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين السامين المتعاقدين .

وبناء على ذلك فإن فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية قد عين جناب الجنرال بريار نائبا مفوضا من طرفه ، فاتفق جنابه مع سمو الباى المعظم على البنود الآتية :

البند الأول : إن معاهدة الصلح والمودة والتجارة ، وجميع المعاهدات الأخرى الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنسية وسمو باى تونس ، قد وقع تأكيدها وتجديدها .

البند الثانى : لأجل تسهيل القيام بالإجراءات التى يتحتم على دولة الجمهورية الفرنسية اتخاذها للوصول للغرض الذى يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان ، فقد رضى سمو باى تونس بأن تحتل القوات الفرنسية العسكرية المراكز التى تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل . ويزول هذا الاحتلال عندما تتفق السلطتان الحربيتان — الفرنسية والتونسية — وتقرران معا بأن الإدارة المحلية قد أصبحت قادرة على المحافظة على استتباب الأمن العام .

البند الثالث: تتعهد دولة الجمهورية الفرنسية ببذل مساعدتها المستمرة لسمو الباى وحمايته من كل خطر يمكن أن يهدد ذاته أو عائلته ، أو يعبث بأمن مملكته .

مرجع سابق، هذه تونس ، ص15.

تابع الملحق رقم 11: لمعاهدة الباردو .

البند الرابع : تضمن الدولة الفرنسية تنفيذ جميع المعاهدات المعقودة بين الدولة التونسية ومختلف الدول الأوربية .

البند الخامس : يمثل الدولة الفرنسية لدى سمو الباى وزير مقيم عام ، تكون وظيفته السهر على تنفيذ أحكام هذه المعاهدة ، ويكون هو الواسطة بين الدولة الفرنسية وبين السلطات التونسية فى جميع القضايا التى تهم الحانبين .

البند السادس : يكلف الممثلون الديبلوماسيون والقنصليون لفرنسا فى البلاد الأجنبية بحماية رعايا المملكة التونسية ومصالحها ، وفى مقابل ذلك يلتزم سمو الباى بأن لايعقد أى عقدذى صبغة دولية من دون إعلام الدولة الفرنسية بذلك والحصول على موافقتها مقدما .

البند السابع : تحتفظ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو الباى لنفسهما بحق الاتفاق على وضع نظام مالى بالمملكة التونسية ، من شأنه الوفاء بواجبات الدين العام وضمان حقوق دائنى المملكة .

البند الثامن : تفرض غرامة حربية على القبائل العاصية بالحدود والسواحل ، وتحدد قيمة هذه الغرامة وطرق جبايتها باتفاق يعقد فيما بعد ، وتكون حكومة الباى هى المسؤولة على تنفيذ هذا الاتفاق .

البند التاسع : لأجل صيانة ممتلكات الجمهورية الفرنسية بالقطر الجزائرى من تهريب الأسلحة والذخائر ، فإن دولة سمو الباى تتعهد بأن تمنع قطعا إدخال السلاح والذخائر الحربية لجزيرة جربة ومرسى قابس والمراسى الأخرى بالمملكة التونسية .

البند العاشر : سيقع عرض هذه المعاهدة على دولة الجمهورية الفرنسية للمصادقة عليها ، وتسلم وثيقة التصديق عليها بعد ذلك لسمو باى تونس فى أقرب وقت ممكن .

وكتب بباردو فى ١٢ مايو سنة ١٨٨١

الإمضاء

محمد الصادق باى

الجنرال بريار

مرجع سابق، هذه تونس ، ص155–116.

الملحق رقم 12: قنصل فرنسا بتونس تيدور روستان .

تيودور روستان
(قنصل فرنسا العامّ بتونس من سنة 1874 إلى سنة 1882)

مرجع سابق، صفوة الاعتبار ، ص130.

الملحق رقم 13: توقيع المعاهدة .

إمضاء معاهدة باردو (12 ماي 1881)

مرجع سابق، خليفة الشاطر ، ص21.

الملحق رقم 14: اهم معرك المقاومة :

أشهر المعارك بالشمال والوسط والساحل و الجنوب التونسي(1881-382

أهم معارك المقاومة (1881 – 1882)

خليفة الشاطر واخرون : ص 25.

الملحق رقم15: اتفاقية المرسى .

نص اتفاقية المرسى

المنعقدة فى ٨ يونيو سنة ١٨٨٣

لما كانت عناية سمو الباى المعظم متجهة إلى تحسين الأحوال الداخلية بالمملكة التونسية ، وفقاً لأحكام المعاهدة المبرمة فى الثانى عشر من شهر مايو سنة ١٨٨١ ، وكانت حكومة الجمهورية الفرنسية راغبة تمام الرغبة فى تحقيق أغراض سموه ، توثيقاً لمرى المودة بين القطرين العامرين ، إتفق الطرفان على عقد اتفاق لتحقيق هذا الغرض ، وانعقد مؤتمر الجمهورية الفرنسية فى ظل سمو باى بواسطة كامبون وزير المقيم بتونس (الحامل لنيشان الليجيون دونور صنف أوفيسيه ونيشان المهد ونيشان الافتخار من الصنف الأكبر الخ) ، فقدم الوزير المشار إليه أوراق اعتماده لعقد الإتفاقية المحددة فى البنود الآتية :

البند الأول : لما كان غرض سمو الباى المعظم أن يسهل للحكومة الفرنسية إتمام حمايتها ، تتكفل بإدخال الإصلاحات الإدارية والعدلية والمالية ، التى ترى الحكومة المشار إليها فائدة فى إدخالها .

البند الثانى : تضمن الحكومة الفرنسية قرضاً يعقده سمو الباى لتحويل أو لدفع الدين الموحد البالغ ١٢٥ مليون فرنك والدين السائر الذى لا يمكن أن يتجاوز ١٧٥٠٠٠٠٠ فرنك ، ولكنها هى التى تختار الزمن والشروط الموافقة لذلك. وقد تعهد سمو الباى المعظم بأن لا يعقد قرضاً فى المستقبل لحساب المملكة التونسية دون إذن سابق من الحكومة الفرنسية .

البند الثالث : يخصص لسمو الباى المعظم من مداخيل المملكة أولاً : المبالغ اللازمة للقيام بواجبات القرض الذى ضمنته فرنسا ، ثانياً : مخصصات سمو الباى ، وقدرها مليونان من الريالات التونسية (أى ٢ ٠٠٠ ٠٠٠ فرنك)، وما فضل من ذلك يعين لمصاريف إدارة المملكة ودفع مصاريف الحماية .

مرجع سابق، هذه تونس ، ص117.

تابع الملحق رقم15: اتفاقية المرسى

البند الرابع : هذه الاتفاقية مؤكدة ومكملة للمعاهدة المعقودة فى ١٢ مايو سنة ١٨٨١ ، فيما يحتاج منها إلى التأكيد والتكميل . ولا تتغير بها الأنظمة التى سبق وضعها فيما يتعلق بتقرير الغرامة الحربية .

البند الخامس : تعرض هذه الاتفاقية على الحكومة الفرنسية للمصادقة عليها وتسلم وثيقة التصديق إلى سمو الباى المعظم فى أقرب وقت ممكن .

وإيذاناً بصحة ما تقدم ، حررت هذه الاتفاقية وختمها الموقعان بختميهما .

وكتب بالمرسى فى ٨ يونيو سنة ١٨٨٣ الإمضاء

على باي

بولس كامبون

مرجع سابق، هذه تونس ، ص118.

قائمة المصادر والمراجع

اولا باللغة العربية .

1.المصادر:

1-إبن أبي الضياف أحمد . إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999م ج،3ج،4ج،7ج،8.

2-بن خوجة محمد، صفحات من تاريخ تونس، تح: حمادي الساحلي، الجيلالي بن الحاج يحي، ط ،1دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

3-التونسي خير الدين، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تق: محمد حداد، ط ،1دار الكتب المصرية، القاهرة، د ت ن.

4-التونسي محمد بيرم، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ،1دار صادر، بيروت، 1885 م.

5-الزمولي الصادق، أعلام تونسيون، تع: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986 م.

6- السنوسي محمد العربي : مذكرات خير الدين باشا ، ط.1 ، مطبعة المغرب لنشر ، تونس ، 2008،.

-7الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط ،6 مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003م

2.المراجع :

1- طقوس محمد سهيل: تاريخ الدولة العثمانية من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة ،ط3، دار النفئس ،بيروت لبنان ،2013،.

-2 ياغي اسماعيل احمد: العالم العربي في التاريخ الحديث ،ط1، مكتبة العبيكان ، الرياض، 1997 م.

-3- حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ط3، دار الكتب العربية الشرقية ، تونس ،.

-4 شاكر محمود: التاريخ الاسلامي في العهد العثماني ،ج7،ط4،المكتب الاسلامي ،بيروت ،2000، .

[5]- المحجوبي علي: العالم العربي الحديث والمعاصر (تخلف فاستعمار فمقاومة)،ط1 ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان ، 2009، ص 38 .

[6]- . المحجوبي علي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ،تع ،عمر بن الضو ، حليمة قرقوري، دار شراس لنشر ،1986، تونس ،.

[7]- تامر الحبيب: هذه تونيس ،مطبعة المغرب العربي ،.

[8]- الجمل شوقي عطاالله ، علد الله عبد الرزاق : تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر (من الفتح العثماني للعالم الى الوقت الحاضر)، د.ط، دار المعرفة، مصر، 2012 .

[9]- الشاطر خليفة واخرون : تونس عبر التاريخ (الحركة الوطنية ودول الاستقلال)، ج3، مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، 2005م،

[10]- عبيد احمد: التماثل والاختلاف في الحركات المغاربية (الجزائر تونس المغرب)، ط1،ابن النديم لنشر ، الجزائر ، 2010

[11]-شوقي عطاالله الجمل :المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا تونس الجزائر المغرب) ط1، مكتبة الانجلو مصرية ، 1977، .

[12]- شريف محمد الهادي: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال ، تع محمد الشاوش ، محمد محينية ، ط3،دار سراس لنشر ، تونس ،1993.

13- بنبلغيث الشيباني : الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي1859.-1882 :تق عبد الجليل التميمي ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الادب والعلوم الانسانية، جامعة صفاقس،1995،.

[14]-جان غنياج : ثورة علي بن غداهم 1864، تر: لجنة كتابه الدولة لشؤون الثقافية ، الدار التونسية لنشر 1965، ،

[15]- ابو حمدان سمير: خيرالدين التونسي ، دار الكتاب العالمي ، بيروت لبنان ، 1993، ص18 .

[16]- عطاالله الجمل شوقي ، عبدالله عبد الرزاق ابراهيم : تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ، ط2 ، دار الزهراء ،2002،.

[17]- جوهر حسن محمد :تونس ، دار المعارف ،مصر ، 1961،ص55.56.

[18]- ياغي اسماعيل احمد ، محمود شاكر : تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر ، ج2،دار المريخ لنشر ، الرياض السعودية ، 1993 ،.

[20]- الامام رشاد: التفكير الاصلاحي في تونس في القرن التاسع عشر الى صدور قانون عهد الامان ،ط1، دار سحنون لنشر ، تونس ، 2010،.

[21]- بنبلغيث الشيباني : اضواء على التاريخ العسكري في تونس من 1837. الى1917، د.ط ، مكتبية علاء الدين ، صفاقس ،. [22]- مقلاتي عبد الله : المرجع في تاريخ المغرب الحديث و المعاصر (الجزائر تونس المغرب ليبيا) ، د.ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د.ت،

[23]- يحى جلال : المدخل في تتارخ العالم العربي الحديث ، د.ط ، دار المعارف ، مصر ، 1965م،.

24- غلاب عبد الكريم: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ، ط.1 ، دار الغرب الاسلامي ، ج.2، 2005 ، .

[26]- شاكر محمود: التاريخ الاسلامي ، ط2، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ج 14، 1996،

[27]- عبد الله طاهر: الحركة الوطنية التونسية (رؤية شعبية قومية جديدة 1956.1830) ، ط 2،منشورات دار المعارف ،سوسة ، تونس ،د.س،.

28- الشاوش محمد ومحمد عجينة، ط ،3دار سراس للنشر والتوزيع، تونس، 1993م ، .

[29]- داهش محمد علي: دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي ، دار الاتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، 2004، .

3.المجلات:

[1] جمعة عليوي فرحان الخفاغجي ،وسام هادي عكار عظيم :السياسة الفرنسية حيال تونس (1881-1914) .مجلة الاستاذ ،كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية ، جامعة بغداد ، العدد 214 ، المجلد 1، 2015،.

[2]رابحة محمد خيضر ،لمى عبد العزيزمصطفى :التجربة الاصلاحية في تونس في عهد محمد الصادق باي 1881.1859. Route Educational & social science journal volume .6(2)jamuary.2019.

4.المقالات:

[1]– محمد عصفور سليمان : الحماية الفرنسية على تونس عام 1881م والموقف الاوربي والعثماني منها ، مجلة دايلي ، العدد56. 2012،.

2 – رابحة محمد خيضر ، لمى عبد العزيز مصطفى : التجربة الاصلاحية في تونس في عهد محمد الصادق باي 1881.1859م ، كلية الادب، قسم التاريخ ، جامعة الموصل

3–عادل محمد عثمان : حوليات ادب عين الشمس ، مج 44 ،ديسمبر 2016،.

5.الرسائل الجامعية:

[1] قدادرة شايب : الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري 1934.1954م. دراسة مقارنة ، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه ، في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، قسم التاريخ وعلم الاثار ، 2006.2007م..

[2]–اسماء قسطالي ، فاطمة الزهراء بوزيان : النضال السياسي والنقابي في تونس 1946.1956م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، في الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي ، قسم التاريخ ،جامعة الجيلالي بونعامة ، خمس مليانة ،2016.2017م ،.

[3]–حسيبة طيبوني ، نور الهدى زوبة : تطور الحركة الوطنية التونسية ودورها في مواجهة الحماية الفرنسية 1904.1919م /، مذكرة لنيل شهادة ماستر ، في الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي ، قسم العلوم الانسانية ، جامعة خميس مليانة ، 2014.2015.،

[5]–لمياء خيثر ، وسام خيثر : فرحات حشاد ودوره في الكفاح ضد الحماية الفرنسية على تونس ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ،في الظاهر الاستعمارية في الوطن العربي ، قسم العلوم الانسانية ، شعبة التاريخ ، جامعة الجيلالي بونعامة ، خميس مليانة ، 2016.2017م .

[6]-شفيقة بلخيرة، سعدية بن عزة : التاريخ الاستقلالي في الجزائر وقضايا التحرر في المغرب العربي 1954.1926م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، في تاريخ حديث ومعاصر ، الجيلالي بونعامة ،خميس مليانة 2016.2015م.

[7]-امال سوسي: العلاقات التونسية الفرنسية 1881.1830م .مذكرة لنيل الماستر ، في التاريخ العربي الحديث ، قسم التاريخ ، جامعة غرداية ، .2019.2018

[8]-حسيبة طيبوني ، نور الهدي زوبة :تطور الحركة الوطنية التونسية ودورها في مواجهة الحماية الفرنسية 1904.1919، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي ، قسم العلوم الإنسانية ، جامعة خميس مليانة ، 2015.2014.،.

9-حصام صورية : العلاقات بين ايالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية ،قسم التأريخ وعلم الاثار ،جامعة وهران ، 2013،.

[10]-سهام شابي : الفكر الاصلاحي لخير الدين التونسي 1307.1225 هـ .1889.1810 م من خلال كتاب اقوام المسالك في معرفة احوال الممالك ، مذكرة لنيل شهادة الماستر 2014.2013م.

6.الموسوعات:

1- عاطف عيد: قصة وتاريخ الحضارة العربية بين الامس واليوم (تونس الجزائر).

-المراجع بالأجنبية :

[1] Cambon Henri : **Histoire de la Régence de Tonis**, paris, 1948,

ملخص الدراسة

الملخص بالعربية:

عرفت تونس ظروف صعبة في تاريخها ، وذلك بسبب التحرشات على السواحل التونسية ، مما ادى الى الحاقها بالدولة العثمانية سنة 1574 م، للحفاظ على امن البلاد ، لكن لم تستمر تونس على هذا الوضع وخاصة بعد ان بدا الضعف ينخر في الدولة العثمانية ، وبدا بيايات تونس يحاولون الاستقلال عنها فأصبحت علاقة تونس مع الدولة العثمانية متمسكة بروابط روحية فقط ، وتمكن البايات من ربط العلاقات مع الدول الاوربية وغيرها.

ونتيجة لتلك السياسية الجديدة التي عرفتها تونس مع الدول الغربية والزيارات المتبادلة من كلى الطرفين ، بدأت تظهر علامات التعجب والانبهار من الحضارات الاوربية ، فحاول بايات تونس التغيير والاصلاح محاولين تجسيد ما شاهدوه في بلادهم ، وقد استعانوا في اصلاحاتهم بالشركات الاجنبية ، وهذا ما كلف الخزينة الكثير مما سبب نزيف حاد لها ، وكانت هاته المشاريع والشركات بداية التسرب المالي والتدهور الاقتصادي للبلاد .

ومع عجز الدولة عن تسديد فواتير الاصلاح اضطر به الى الاقتراض لسد الديون ، ولكن لم تتمكن من ذلك فعقدت لجنة مالية دولية لحل مشكلة الديون ، وهذا الفعل يوضح عجز الدولة وبداية فقدانها لسيادتها .

وبهذا الوضع ازداد الامر سوئ مع ظهور الأوبئة والامراض والمجاعة ، اضافة الى سياسة البايات التي اثقلت كاهل السكان بالضرائب ، فكانت سياسة البايات الفاشلة القائمة على الاصلاحات افقدت الشعب الثقة بالحكام .

وكل هذه الاحداث جعلت تونس ارض خصبة للاستعمار الذي ابعد خصومه ومنافسيه على منطقة تونس ، ولم يتبقى لها الا الذريعة لتحقيق مبتغاها ، فكانت مشكلة الحدود على الحدود الجزائرية هي الذريعة التي انتظرتها فرنسا ، فدخلت تونس سنة 1881م ، بحجة الحفاض على امن المنطقة الى ان فرض على الباي توقيع معاهدة الباردو والحقت بمعاهدة المرسى وبهذا تم القضاء على استقلال البلاد من طرف فرنسا .

الملخص بالفرنسية :

La Tunisie a connu des conditions difficiles dans son histoire, en raison du harcèlement sur les côtes tunisiennes, qui a conduit à son rattachement à l'Empire ottoman en 1574 après JC, pour préserver la sécurité du pays, mais la Tunisie n'a pas continué cette situation, surtout après que la faiblesse semblait éroder l'Etat ottoman, et le Bayat de Tunisie a commencé à essayer L'indépendance vis-à-vis de celui-ci, de sorte que les relations de la Tunisie avec l'Empire ottoman sont devenues liées uniquement à des liens spirituels, et les Beys ont pu établir des liens avec les pays européens et d'autres.

À la suite de cette nouvelle politique que la Tunisie connaissait avec les pays occidentaux et de l'échange de visites des deux côtés, des signes d'exclamation et d'étonnement ont commencé à apparaître de la part des civilisations européennes, de sorte que les beys de la Tunisie ont essayé de changer et de réformer, en essayant d'incarner ce qu'ils voyaient dans leurs pays, et ils ont utilisé des entreprises étrangères dans leurs réformes, et cela a coûté beaucoup de choses au Trésor public. La cause de graves saignements, et ces projets et entreprises ont été le début des fuites financières et du déclin économique du pays. Étant donné l'incapacité de l'État à payer les factures de réforme, il a été contraint d'emprunter pour rembourser les dettes, mais n'a pas été en mesure de le faire. Un comité financier international a donc été convoqué pour résoudre le problème de la dette, et cet acte montre l'impuissance de l'État et le début de sa perte de souveraineté.

Et avec cette situation, la situation s'est aggravée avec l'émergence d'épidémies, de maladies et de famine, en plus de la politique des beys, qui alourdissait la population d'impôts, de sorte que l'échec de la politique de Beys fondée sur des

réformes a perdu la confiance du peuple dans les dirigeants. Tous ces événements ont fait de la Tunisie un terrain fertile pour le colonialisme qui a chassé ses opposants et rivaux de la région tunisienne, ne laissant qu'un prétexte pour atteindre son objectif, le problème des frontières aux frontières algériennes était donc l'excuse que la France cherchait. Le Bey a signé le traité du Bardo et a adhéré au traité de La Marsa, éliminant ainsi l'indépendance du pays par la France.

الفهرس

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع **الصفحة**

بسملة .....

شكر

وعرفان.....

الإهداء.....

قائمة المختصرات.....

المقدمة .....1-8.

الفصل الاول : اوضاع تونس قبل الازمة .....9-29.

المبحث الاول : الاوضاع السياسية .....12-18.

المبحث الثاني : الاوضاع الاقتصادية .....18-23.

المحث الثالث : الاوضاع الاجتماعية .....24-28.

خلاصة الفصل 28

الفصل الثاني :. جذور وبدايات الازمة المالية في تونس .....30-48.

المبحث الأول: الازمة في عهد احمد باي1855-1837م .....32-35.

المبحث الثاني: الازمة في عهد محمد باي 1859-1855م .....36-40.

المبحث الثالث: تدهور الحالة المالية للبلاد وتشكل اللجنة المالية للبلاد.

.....41-47.

خلاصة الفصل .....47.

الفصل الثالث:. اصلاحات محمد الصادق باي و خير الدين التونسي وانعكاساتها.....49-66

المبحث الأول: اصلاحات محمد الصادق باي وخير الدين التونسي .....51-56.

المبحث الثاني: ثورة علي بن غداهم 1864م .....57-60.

المبحث الثالث: فرض الحماية الفرنسية على تونس..... **61-66**.

خلاصة الفصل 66

خاتمة .....67-69.

الملاحق.....70-88.

قائمة المصادر والمراجع.....89-94.

ملخص الدراسة 95-98

فهرس المحتويات.....99-101